



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

للفف السابع - التعليم الديني
الجزء الرابع والعشرون

الطبعة الأولى



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

للفص السابع - التعليم الديني
الجزء الرابع والعشرون

تأليف

أ. خالد عبدالله حمد البصيلي (رئيساً)

أ. محمد محمد الصادق أبو العزم
أ. شياء يوسف الكندري

أ. عبدالله حامد المطيري
د. ياسر محمد عبداللطيف

الطبعة الأولى

١٤٣٧ - ١٤٣٨ هـ

٢٠١٦ - ٢٠١٧ م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج
إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى: ٢٠١٦ - ٢٠١٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح
أمير دولة الكويت



سَيِّدُ الشَّيْخِ نَوَافُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَابِرِ السَّبَّاحِ
وَلِيَّ عَهْدَ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ



الفترة	الدرس	الموضوعات	الصفحة
	المقدمة		١٣
	مصادر التفسير		١٥
	سورة الزمر الآيات (٣٢-٧٠) مقاصد سورة الزُّمَر		١٩
الآيات	الأول	جزاء الكاذبين والصادقين (٣٢ - ٣٧)	٢١
	الثاني	حقيقة التوحيد وإعراض المشركين عنه (٣٨ - ٤٠)	٢٦
	الثالث	نزول القرآن الكريم من عند الله تعالى بالحق (٤١)	٢٩
	الرابع	نفوس البشر في قبضة الله تعالى (٤٢ - ٤٤)	٣٣
	الخامس	الله يحكم بين عباده (٤٥ - ٤٨)	٣٦
	السادس	حال الإنسان بين الضر والنفع (٤٩ - ٥٢)	٣٩
	السابع	التعجيل بالتوبة قبل الممات (٥٣ - ٥٩)	٤٢
	الثامن	حال الذين كذبوا على الله تعالى يوم القيامة (٦٠ - ٦١)	٤٦
	التاسع	الأمر بعبادة الله تعالى وحده (٦٢ - ٦٧)	٤٩
		العاشر	النفخ في الصور (٦٨ - ٧٠)

الصفحة	الموضوعات	الدرس	الفترة
	سورة الزمر (٧١ - ٧٥)		الثانية
٥٩	مهانة الكفار يوم القيامة (٧٢ - ٧١)	الحادي عشر	
٦٢	ترحيب الملائكة بالمؤمنين (٧٥ - ٧٣)	الثاني عشر	
٦٥	سورة غافر (٣٥ - ١) بين يدي سورة غافر		
٦٦	حال المجادلين في القرآن الكريم (٦ - ١)	الثالث عشر	
٦٩	دعاء الملائكة للمؤمنين (٩ - ٧)	الرابع عشر	
٧٢	اعتراف الكفار بذنوبهم يوم القيامة (١٢ - ١٠)	الخامس عشر	
٧٥	لا تخفى على الله تعالى خافية (٢٠ - ١٣)	السادس عشر	
٧٩	الاعتبار من هلاك الكفار (٢٢ - ٢١)	السابع عشر	
٨٢	منهج أهل الباطل في مواجهة الحق (٢٧ - ٢٣)	الثامن عشر	
٨٦	كلمة الحق أمام سلطان جائر (٣٣ - ٢٨)	التاسع عشر	
٩٠	رسالة يوسف عليه السلام (٣٥ - ٣٤)	العشرون	

الفترة	الدرس	الموضوعات	الصفحة
		سورة غافر (٣٦ - ٨٠)	
الثالثة	الحادي والعشرون	كيد الظالمين في خسران (٣٦ - ٣٧)	٩٥
	الثاني والعشرون	أسباب النجاة (٣٨ - ٤٦)	٩٨
	الثالث والعشرون	تخاصم الكفار في النار (٤٧ - ٥٢)	١٠٢
	الرابع والعشرون	آيات الله تعالى هدى للناس (٥٣ - ٥٦)	١٠٦
	الخامس والعشرون	الدعاء هو العبادة (٥٧ - ٦٠)	١١٠
	السادس والعشرون	مظاهر قدرة الله تعالى في خلقه (٦١ - ٦٤)	١١٣
	السابع والعشرون	وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٦٥ - ٦٨)	١١٦
	الثامن والعشرون	مصير المجادلين في آيات الله تعالى (٦٩ - ٧٦)	١١٩
	التاسع والعشرون	العبرة والعظة من حياة الرسل (٧٧ - ٨٠)	١٢٣

الصفحة	الموضوعات	الدرس	الفترة
	غافر (٨٥ - ٨١)		ثلاثون
١٢٩	العبرة والعظة من السير في الأرض (٨٥ - ٨١)	الثلاثون	
١٣٣	فصلت (٤٦ - ١) بين يدي سورة فصلت		
١٣٤	القرآن الكريم رحمة من الله تعالى (٨ - ١)	الحادي والثلاثون	
١٣٨	مظاهر قدرة الله تعالى في الكون (١٢ - ٩)	الثاني والثلاثون	
١٤١	عاقبة المكذبين (١٨ - ١٣)	الثالث والثلاثون	
١٤٥	التحذير من سوء الظن بالله تعالى (٢٤ - ١٩)	الرابع والثلاثون	
١٤٩	المرء على دين خليله (٢٩ - ٢٥)	الخامس والثلاثون	
١٥٤	منهج الدعوة إلى الله تعالى (٣٦ - ٣٠)	السادس والثلاثون	
١٥٨	الدلائل الكونية على وحدانية الله تعالى (٤٠ - ٣٧)	السابع والثلاثون	
١٦٢	القرآن شفاء لما في الصدور (٤٦ - ٤١)	الثامن والثلاثون	
١٦٧	المراجع		

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن سلك نهجهم، واتبع هديهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،،

فهذا كتاب التفسير لمتعلمي الصف السابع من المعاهد الدينية، فيه عرض موجز، وشرح مبسط للجزء الرابع والعشرين من كتاب الله تعالى، وقد حرصت اللجنة المعنية بإعداد هذا الكتاب على ما يلي:

١ - تقديم نبذة مختصرة للتعريف بكل سورة من سور المقرر، وهي سور الزمر وغافر وفصلت، وبيان ما تشتمل عليه كل سورة من مقاصد.

٢ - تقسيم كل سورة من المقرر إلى مجموعة من الآيات، تشكل مع بعضها موضوعاً واحداً، حتى يتسنى للمتعلمين استيعاب المقصود، وفهم المراد من الدرس.

٣ - شرح الكلمات المبهمة، وتوضيحها بأسلوب ميسر يناسب فهم المتعلمين، بعيداً عن التكلف والغموض.

٤ - عرض لأسباب نزول الآيات في صورة مبسطة، إسهاماً في تعميق الفهم لدى المتعلم.

٥ - الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعم الشرح، وثبت المعلومة في ذهن المتعلم، بالإضافة إلى أقوال مختارة من سيرة السلف الصالح.

٦ - التركيز على الجانب الوجداني من خلال إبراز القيم، وإلقاء الضوء عليها، مع التنبيه على أهم الفوائد التي ترد من خلال شرح الآيات.

٧ - العناية بالحقائق الثابتة، وتقرير الأمور المعلومة من الدين، من البعث والنشور ويوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب، وعرض لبعض الأحكام الشرعية التي تهتم المسلم وبيان أهمية الآداب الإسلامية التي تسمو بالمجتمع.

واللجنة المعنية إذ تقدم هذا العمل ترحب بالتوفيق والسداد للمتعلمين، وترحب بالنقد البناء، أملاً في تداركه في الطبعة اللاحقة، كما ترحب أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينتفع به القارئ الكريم، وصلى الله وسلم على رسوله الكريم.

المؤلفون

مصادر التفسير

اعتمد أهل العلم في كشف معاني آيات القرآن العظيم على عدة مصادر منها ما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

يعد الاستدلال على معاني آيات الله من خلال القرآن الكريم من أهم مصادر التفسير للقرآن الكريم، وهو ما يعرف عند أهل العلم بتفسير القرآن بالقرآن، فقد تأتي آية مجملة في موضع، تفسرها آية أخرى في موضع آخر من كتاب الله تعالى، وقد تأتي آية مطلقة في سورة معينة تقيدها غيرها، فتتضح الصورة، ويُعرف مراد الله تعالى، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّٰثَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١) فسرت الكلمات بقول الله تعالى ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢).

ثانياً: السنة النبوية:

تعد أقوال الرسول ﷺ المصدر الثاني لمعرفة كتاب الله تعالى، فقد فسّر الرسول ﷺ كثيراً من آيات القرآن الكريم، وبيّن للصحابه رضوان الله عليهم ما أشكل عليهم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) ومن ذلك قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ هُمُ النَّصَارَى» (٤).

ومن ذلك - أيضاً - ما أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

(١) سورة البقرة: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف: ٢٣.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه.

وَعَدُّكُمْ ﴿١﴾ أَلَا وَإِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ.

ثالثاً: أقوال الصحابة رضي الله عنهم:

كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله ﷺ رجعوا في ذلك إلى اجتهدهم وإعمال رأيهم وفق معايير محددة بيّنها أهل العلم، من ذلك ما ورد أن الصحابة فرحوا حينما نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٢) لظنهم أنها مجرد إخبار وبُشرى بكمال الدين، ولكن عمر بكى وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مُستشعراً نعي النبي ﷺ، وقد كان مصيباً في ذلك، إذ لم يعيش النبي ﷺ بعدها إلا ثمانين يوماً، ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا معنا وَلَنَا أبناءٌ مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث عَلِمْتُمْ، فدعا ذات ليلة فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهُم قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ^(٣) فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) سورة النصر: ١.

الفترة الأولى



مقاصد سورة الزمر

سورة الزمر هي السورة التاسعة والثلاثون في ترتيب المصحف أما ترتيبها في النزول فهي السورة الثامنة والخمسون من السور المكية، وكان نزولها بعد سورة سبأ. سُميت بسورة الزمر: لما ذكر فيها من الزمر التي تذهب إلى النار والجنة قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ وقال: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾. وتسمى سورة العرف لقوله تعالى فيها: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا مِن قَوْعِهَا عُرْفٌ﴾. ومن فضائلها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل»^(١).

مقاصد السورة:

- ١ - إقامة الأدلة المتعددة على وحدانية الله تعالى وعلى وجوب إخلاص العباد له، عن طريق خلق السماوات والأرض، وتكوين الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر، وخلق الناس جميعاً من نفس واحدة وتوفي الأنفس، وعن طريق لجوء المشركين إليه وحده عند الشدائد، وعن طريق ضرب الأمثال.
- ٢ - إقامة الأدلة المتعددة على نبوة النبي ﷺ ومن ذلك إنزال القرآن عليه هادياً ونذيراً.
- ٣ - إقامة الأدلة المتعددة على البعث والنشور والحساب والجزاء.
- ٤ - تلقين الرسول ﷺ الحجج والإجابات التي يردُّ بها على شُبُهات المشركين فقد تكرر لفظ: «قُلْ» في هذه السورة كثيراً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَقَوِّمُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣١).
- ٥ - الإكثار من المقارنة بين عاقبة الأخيار وعاقبة الأشرار.

(١) رواه النسائي وصححه الألباني.

- ٦- تقريرُ عاقبةِ الكفارِ بدخولهم النارَ، وعاقبةِ المؤمنينَ بدخولهم الجنةَ.
- ٧- حمدُ اللهِ تعالى من جميع المخلوقاتِ.



الدرس الأول

جزاء الكاذبين والصّادقين الآيات (٣٢ - ٣٧) من سورة الزُّمَرِ

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾ (٣٧)

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
مَثْوًى	مَأْوًى
لِيُكَفِّرَ	ليغفر
بِعَزِيزٍ	غالب لكل شيء

المعنى الإجمالي:

النارُ جزاءُ الكاذبين المكذِّبين:

يخبرُ الله تعالى محذراً ومبيناً صفةَ أشدِّ الناسِ ظلماً فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ ﴾ أي لا أحدَ أظلمُ ممَّنْ جمع بين خصلتين

ذميتين:

الخصلة الأولى: الكذب على الله تعالى؛ بأن نسب إلى ذاته ما هو بريء منه كالشريك والزوجة والولد، أو نسب إلى دين الله ما ليس منه، فقال ما لم يقل أو حرّم ما لم يحرم أو شرع ما لم يشرع.

الخصلة الثانية: التكذيب بالصدق؛ وهو القرآن الكريم والنبى ﷺ وما جاء به من الهدى ودين الحق، فلا أحد أظلم من هذا لأنه تجرأ على مقام الألوهية والنبوة، ولهذا بين الله تعالى جزاءه وهو الخلود في النار.

فوائد:

١ - التعبير بقوله: ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ يدل على أنهم بادروا بتكذيب القرآن والنبى ﷺ بمجرد أن سمعوه، دون أن يتدبروه أو يفكروا فيه.

٢ - نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢): تقريرى، والفائدة من دخول الاستفهام على النفي: ليثبت الحكم ويقرره في نفس السامع بحيث لا يسعه إلا الإقرار بما جاء بعد النفي.

الجنة جزاء الصادقين المصدقين:

ولما ذكر الله تعالى فريق الكاذبين المكذبين وعقوبتهم، ذكر الصادقين المصدقين وثوابهم، فقال تعالى مادحاً إياهم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) فالمتقون هم الذين اتصفوا بخصلتين حستين جامعتين لكل خير:

الخصلة الأولى: أنهم يصدقون في أقوالهم وأعمالهم.

الخصلة الثانية: أنهم يصدقون بكل ما أوجب الله تعالى التصديق به.

وأحق من اتصف بهاتين الخصلتين:

١ - النبى محمد ﷺ، الذي صدق في كل ما أخبر به عن الله تعالى.

٢ - صحابة رسول الله ﷺ الذين هم أفضل أمة النبى ﷺ، وأفضل الصحابة: أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤)

فهؤلاء المتقون الذين وفقوا للجمع بين الصدق والتصديق جزاؤهم دخول الجنة، لهم فيها ما يشاؤون من النعيم، مما لم يخطر على بال أحد، ولم تره عين قط، ولم تسمع به أذن، وهذا النعيم هو جزاء المحسنين مع الله تعالى ومع الناس.

فائدة: المحسنون هم: الذين أحسنوا في عبادة الله تعالى، وإلى عباد الله تعالى؛ وكيفية الإحسان في عبادة الله هو: كما قال النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

وكيفية الإحسان في معاملة الخلق: أن تحب لهم ما تحبه لنفسك.

عاقبة التقوى والإحسان:

﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢٥)

ثم بين الله تعالى عاقبة التقوى والإحسان بشيئين سيعطيهمما لهؤلاء المتقين المحسنين يوم القيامة:

الأول: يغفر لهم أسوأ الذنوب التي عملوها، ومن غفر الأسوأ غفر السيئ.

الثاني: يجزيهم أجرهم عما كانوا يعملون من الطاعات بأحسن جزاء، وذلك أن جعل لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة ثم يدخلهم الجنة.

فوائد:

١ - قدم الله تعالى تكفير السيئات على أجر الحسنات، لأن دفع الضرر مقدم على جلب النفع.

٢ - في الآية مدح وإشادة بأصحاب رسول الله ﷺ إذ أثبت لهم التصديق بما جاء به رسوله ﷺ كما أثبت لهم التقوى والإحسان وواعدهم بالنعيم المقيم الذي ادخره لهم. قال ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»^(٢).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي.

اللَّهُ كَافٍ رَسُولَهُ ﷺ كَيْدَ الْكَائِدِينَ:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ

﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ ﴿٣٧﴾﴾

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ كَذِبِ الْكَافِرِينَ وَهُوَ: تَخْوِيفُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ آلِهَتِهِمْ، فَقَدْ هَدَّوْهُ ﷺ أَنْ آلِهَتَهُمْ سَتُخْبِلُ عَقْلَهُ وَتُصِيبُهُ بِالسَّوَاءِ، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُطْمِئِنُّ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّ الْكَفَّارَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ بِسَوْءٍ أَبَدًا وَأَنَّهُ كَافِيهِمْ مَوَاسِيَتَهُمْ وَتَهْدِيدَاتِهِمْ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدٌ لِلَّهِ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الَّذِي يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، أَمَّا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى مَا هِيَ إِلَّا حِجَارَةٌ حَقِيرَةٌ الشَّانِ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ؛ وَتَبَيَّنُ الْآيَاتُ السَّبَبَ فِي تَخْوِيفِهِمُ الرُّسُولَ ﷺ مِنْ آلِهَتِهِمْ وَهُوَ الضَّلَالُ الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَهُمْ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّهَا آلِهَةٌ تَضُرُّ وَتَنْفَعُ وَهَذَا هُوَ الضَّلَالُ الْمُبِينُ، وَمَنْ يُضِلُّهُ اللَّهُ فَيَعْبُدْ غَيْرَهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ هَادِيًا يَهْدِيهِ إِلَى الْحَقِّ، أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ هَدَاهُ رَبُّهُ لِعِبَادَتِهِ وَحَدَهُ، وَمَنْ هَدَاهُ رَبُّهُ فَلَنْ يَسْتَطِعَ أَحَدٌ أَنْ يَمَسَّهُ بِضَلَالٍ أَوْ سَوْءٍ فَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَزِيزُ الْغَالِبُ الْمُنْتَقِمُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ لِأَوْلِيَائِهِ.

فوائد:

١- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: الْإِسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِي.

٢- جَاءَ لَفْظُ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿عَبْدَهُ﴾ لِأَمْرَيْنِ:

- تَشْرِيفِ الرُّسُولِ ﷺ بِعِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ.

- تَحْقِيقِ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ مِنْ كُلِّ سَوْءٍ.

٣- جَاءَ لَفْظُ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ: ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: لِتَحْقِيقِ شَأْنِ الْأَصْنَامِ.

من هداية الآيات:

- ١ - بيانُ قبحِ الكذبِ على اللهِ تعالى والتكذيبِ بما جاءَ بهِ رسوله ﷺ من الدينِ.
- ٢ - جزاءُ الكاذبينَ المكذِّبينَ باللهِ ورسوله الخلودُ في نارِ جهنَّمَ.
- ٣ - الترغيبُ في الصدقِ في الاعتقاداتِ والأقوالِ والأعمالِ.
- ٤ - بيانُ فضلِ التقوى والإحسانِ عندَ اللهِ تعالى.
- ٥ - تقريرُ كفايةِ اللهِ لعبادهِ المؤمنينَ والانتقامِ من الظالمينَ.

الدرس الثاني

حقيقة التوحيد وإعراض المشركين عنه
الآيات (٣٨ - ٤٠) من سورة الزمر

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
أَفَرَأَيْتُمْ	أخبروني
مَكَانَتِكُمْ	طريقتكم في الكفر والعناد
وَيَحِلُّ	ينزل
مُقِيمٌ	دائم

المعنى الإجمالي:

اعتراف المشركين بربوبية الله تعالى:

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ أن الكفار في ضلال، أراد أن يظهر للرسول ﷺ أدلة ضلالهم وجهلهم بأعظم الأدلة وهو الإقرار، فاعترفوا بأمرين:

الأمر الأول: اعترفوا بأنَّ اللهَ هوَ خالقُ الكونِ، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ فأقسمَ سبحانه وتعالى أَنَّهُم إِذَا سُئِلُوا عَنْ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فسيُعرفونَ بأنَّه هوَ اللهُ سبحانه وتعالى، وفي هذا أعظمُ دليلٍ على أَنَّهُم كانوا في جهلٍ عظيمٍ وضلالٍ مبينٍ فكانَ الواجبُ عليهم أن يعبدوا مَنْ خلقَ كلَّ شيءٍ، ولكنَّهم لما قلَّدوا آباءَهُم ضلَّ عقْلُهُم وخابَ فعلُهُم.

فائدة: اللامُ في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾: واقعة في جواب القسم المقدر.

الأمر الثاني: اعترفوا بعجزِ آلهتِهِم وأنها لا تضرُّ ولا تنفعُ، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي﴾ أي قل يا محمدُ لهؤلاءِ المشركينَ موبِّخاً ومقرِّراً لهم: أخبروني عن آلهتِكُم هذه هل تقدرُ على كشفِ ما أرادَهُ اللهُ بي من الضُّرِّ؟ أو هل هُنَّ قادراتُ على منعِ رحمةِ اللهِ عني إن أرادني برحمةٍ بحيثُ لا تصلُ إليَّ، فسألَهُم النبي ﷺ فسكتَ بعضهم، وقال بعضهم: لا تدفعُ شيئاً من قدرِ اللهِ ولكنها تشفعُ، فنزلَ قوله تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٨) أي: قل -أيها الرسول الكريم- في الرَّدِّ عليهم وفي السخرية من آلهتِهِم: اللهُ وحدهُ هوَ الذي يكفيني في جميعِ أموري من جلبِ النفعِ ودفعِ الضُّرِّ وعليه وحدهُ لا على غيرهِ يعتمدُ المعتمدونَ فيفوضونَ أمورَهُم إليه لأنَّهُم يثقونَ في كفايته لهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (١) عن عبد الله بن عباسٍ رضي اللهُ عنهما قال: «حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ: قالها إبراهيمُ عليه السلامُ حينَ أُلقيَ في النارِ وقالها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا إنَّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ» (٢).

فائدة: توحيدُ اللهِ تعالى لا بدَّ أنْ يشتملَ على ثلاثة أمورٍ:

١ - الاعترافُ بربوبيةِ اللهِ وحدهُ وتدبيرِهِ لهذا الكونِ.

٢ - الاعترافُ بأنَّه إلهٌ واحدٌ لا شريكَ له.

(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) رواه البخاري

٣- الاعترافُ بأنَّه ليسَ كمثله شيءٌ في ذاته وصفاته.
فَمَنْ أَنْكَرَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ تَعَالَى.

خِزْيُ اللَّهِ لِأَعْدَائِهِ:

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَهْدِدَ الْمُشْرِكِينَ وَيَتَوَعَّدَهُمْ فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ يَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ أي: اعملوا على طريقتكم التي أنتم عليها من الكفر بالله تعالى والعداوة لي ولأصحابي فإنَّ ذلك لا يهمني ولن يمنعني من أن أستمِرَّ في عملي وطريقتي التي أنا عليها من عبادة الله وحده واتباع أوامره وستعلمون حين يُنزلُ الله تعالى عليكم العذابَ أنَّا على الحقِّ وأنتم على الباطل، وقد توعدهم الله بعذابين:

الأول: عذاب الدنيا؛ فقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ **مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ** أي: يُهينُهُ ويذلُّهُ في الدنيا، وقد حلَّ بهم القتل والأسر والقهر والذلة في الدنيا.

الثاني: عذاب الآخرة؛ فقال تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٤٠ أي: دائمٌ مستمرٌّ في الدَّارِ الْآخِرَةِ، وهو عذاب النار.

من هداية الآيات:

- ١- تقريرُ توحيدِ ربوبيةِ الله تعالى الموجبةِ لألوهيته.
- ٢- تقريرُ أنَّ الأصنامَ لا تُضرُّ ولا تنفعُ.
- ٣- وجوبُ التوكُّلِ على الله تعالى واعتقادِ كفايته لأوليائه.
- ٤- تقريرُ إنجازِ الله تعالى وعده لرسوله ﷺ والمؤمنين.

الدرس الثالث

نزول القرآن الكريم من عند الله تعالى بالحق الآية (٤١) من سورة الزمر

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤١)

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
الْكِتَابَ	القرآن
بِالْحَقِّ	بالصدق
بِوَكِيلٍ	موكل بالهداية

المعنى الإجمالي:

تسليّة الله تعالى للرسول ﷺ:

تناولت الآيات الكريمة السابقة أن المشركين قد أقروا بربوبية الله تعالى وعجز آلهتهم ومع ذلك لم يؤمنوا فحزن النبي ﷺ فأراد الله أن يُسلِّيه ويُصَبِّره فخطبه وقال له: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤١) أي: أنزلنا عليك - يا محمد - القرآن لهداية الناس وإصلاحهم وهذا الكتاب مشتمل على الصدق في أخباره، وأوامره، ونواهيه ليهتدي به الناس، ومهمتك أن تبلغ القرآن فمن اهتدى بنوره واتبع أوامره كان قائداً له إلى الجنة، وحافظاً له من النار ومن ضل فلم

يقبل هداية القرآن وأصرَّ على الشرك والمعاصي فهو من أهل النار خالداً فيها وعليه غضب من الله تعالى.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١) أي لم يُوكَّل إليك أمرُ هدايتهم فتُجبرهم عليها وتحاسبهم على أعمالهم إن عليك إلا البلاغ فلا تغتم بسبب ضلالهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ضَمِنَ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَلَّا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ» ثم تلا: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) (١).

فوائد:

١- اللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ للتعليل والعلّة محذوفة تقديرها لنفع الناس أو هداية الناس.

٢- في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ عدة دلائل:

- أ- فكلمة: ﴿إِنَّا﴾ تدلُّ على عظمة الله الواحد سبحانه.
- ب- وكلمة: ﴿أَنْزَلْنَا﴾ تدلُّ على علوِّ المنزل سبحانه وتعالى وأنه في السماء.
- ج- وكلمة: ﴿عَلَيْكَ﴾ تدلُّ على شرف المنزل عليه وهو النبي محمد ﷺ.
- د- وكلمة: ﴿لِلنَّاسِ﴾ تدلُّ على شرف الأمة الإسلامية المنتفعة بما في القرآن من نور وهدى.

هـ- وكلمة: ﴿بِالْحَقِّ﴾ تدلُّ على شرف القرآن الكريم فهو الصدق في أخباره والحق في أحكامه، فالقرآن الكريم خير كتاب أنزل على أشرف رسول وإلى خير أمة أخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسمحها وأكملها.

٣- يُعرف القرآن الكريم: بأنه كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المعجز بلفظه ومعناه، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف

٤ - للقرآن الكريم أسماء عديدة تدل على رفعة شأنه وعلو مكانته فمن أسمائه:

أ- القرآن: قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾^(١) وسمي بذلك:

- لأنه يقرأ ويتلى آناء الليل وأطراف النهار. فيكون مشتقاً من القراءة.

- أو لأنه يجمع الأحكام والمواعظ، فيكون مشتقاً من القرء وهو الجمع.

ب- الفرقان: قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢)

سمي بذلك: لأنه يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام.

ج- الذكر: قال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾^(٣) أي: وإن القرآن لشرف لك يا محمد

ولقومك.

كما وصفه الله تعالى بأوصاف جليلة عديدة منها أنه: نور، وهدى، ورحمة، وشفاء، وموعظة،

وعزيز، ومبارك، وبشير، ونذير، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشعر بعظمته وقديسيته قال

تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا

النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥).

٥ - قسم العلماء سور القرآن إلى أربعة أقسام:

أ- السبع الطوال، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، واختلِفَ

في السابعة أهي الأنفال وبراءة لعدم الفصل بينهما بالبسملة؟ أو هي سورة يونس؟

ب- المئون: وهي السور التي تزيد آياتها عن مئة آية.

ج- المثاني: وهي السور التي تقل آياتها عن مئة آية. سُمِّيَتْ بذلك: لكثرة تشنيها أي:

تكررها من القراءة.

د- المفصل: وهي من الحجرات إلى آخر القرآن، سُمِّيَتْ بذلك: لكثرة الفصل بين

آياتها بالبسملة.

(١) سورة البروج: ٢١.

(٢) سورة الفرقان: ١.

(٣) سورة الزخرف: ٤٤.

(٤) سورة المائدة: ١٥.

(٥) سورة يونس: ٥٧.

عن وائلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيَتْ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ الطَّوَالَ ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِثْنَيْنِ ، وَأُعْطِيَتْ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِثْنَيْنِ ، وَفُضِّلَتْ بِالْمَفْصَلِ»^(١).

من هداية الآيات:

- ١ - تسليّة الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات في أصعب الظروف.
- ٢ - بيان شرفه ﷺ بإنزال القرآن عليه.
- ٣ - تقرير نزول القرآن الكريم بالحق واشتماله على الصدق.
- ٤ - الهداية خيرها لصاحبها والضلال يعود شره على الضالين.

(١) صحيح الجامع للألباني.

الدرس الرابع

نفوس البشر في قبضة الله تعالى الآيات (٤٢ - ٤٤) من سورة الزمر

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَاكٍ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
يَتَوَفَّى	يَقْبُضُ
مُسَمًّى	مَعْلُومٌ مُّحَدَّدٌ
الشَّفَعَةُ	التَّوَسُّطُ لِلْغَيْرِ لَجَلْبِ النِّفْعِ أَوْ دَفْعِ الضَّرِّ

المعنى الإجمالي:

نفوس الخلق في قبضة الله تعالى:

يخبرُ تعالى بأنَّه المتصرِّفُ في الوجودِ بما يشاءُ وأنه يُمِيتُ ويُحيي، ولا يقدرُ على ذلكِ سواه، فبيِّنَ أمرينِ عجيبينِ منْ أمورِ قدرتهِ تعالى على الخليقِ هما:
الأمرُ الأول: الوفاةُ الكبرى؛ وهي الموتُ عندَ انقضاءِ الأجلِ ويحدثُ لكلِّ حيٍّ مرةً واحدةً لا يتكرَّرُ، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ أي: يَقْبُضُ النفسَ التي حَانَ أَجْلُهَا

وانتهت مدة حياتها وذلك بالموت، وهو قطع الروح عن البدن قطعاً دائماً إلى يوم القيامة.

الأمر الثاني: الوفاة الصغرى؛ وهي النوم ويحدث ويتكرر لكل حي ما دامت الحياة موجودة في البدن قال تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي والنفس التي لم تمت بالوفاة الكبرى يتوفاها الله في وقت النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي: يجعلكم تنامون في الليل نوماً يشبه الموت، وشبه النوم بالموت: لعدم قدرة البدن على التصرف وقت النوم كما يتصرف حال اليقظة من الكلام والطعام والشراب والأفعال وغيرها.

ثم بين الله تعالى شأن تصرفه في النفس الميتة والنفس النائمة؛ فالنفس التي ماتت يمسكها الله تعالى إلى يوم القيامة، أما النفوس التي نامت فلها حالان:

الحالة الأولى: إن قضى الله تعالى عليها بالوفاة الكبرى حال النوم فيمسكها إلى يوم القيامة.

الحالة الثانية: إن كان قد بقي لها أجل فيرسلها لاستكمال رزقها حتى يأتي أجلها فيمسكها ولا يرسلها.

وهذا الذي يحدث للناس ويشاهدونه في حياتهم لآيات ودلالات لمن كان له عقل يفكر به ومن هذه الدلالات:

- ١- الدلالة على قدرة الله تعالى على البعث والنشور الذي كذب به المشركون.
- ٢- الدلالة على علم الله تعالى حيث لم يغلط - جل عن ذلك - في إمساك ما يمسك من الأرواح، وإرسال ما يرسل منها.
- ٣- الدلالة على جهل المشركين حيث تركوا عبادة الله تعالى الذي نفوسهم في قبضته وعبدوا ما لا يملك شيئاً.

فائدة: كان من دعائه ﷺ عند النوم: «بِسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنِّي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» (٢).

(١) سورة الأنعام: ٦٠.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

الشفاعةُ مُلْكٌ لِلَّهِ وَحْدَهُ:

بعدمَا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَجْرِي فِي نَفُوسِ الْخَلْقِ وَتَحْتَ سَمْعِهِمْ وَبَصَرِهِمْ لَيْلَ نَهَارَ كَانَ الْمُفْرُوضُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَهْتَدُوا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، بَلِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْثَانًا يَتَعَلَّقُونَ بِهَا وَيَرْجُونَ شَفَاعَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾؛ فَيَنْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ تَعَلُّقَهُمْ بِشَفَاعَةِ أَصْنَامِهِمْ بِثَلَاثِ حُجَجٍ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَبْلُغَهَا لَهُمْ:

الْحُجَّةُ الْأُولَى: أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الشَّفَاعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ أَيُّ: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَشْفَعُونَ لَكُمْ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا؟.

الْحُجَّةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّ الْأَصْنَامَ لَا عَقْلَ لَهَا وَلَا فَهْمَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَيُّ: لَا يَعْقِلُونَ مَعْنَى الشَّفَاعَةِ وَلَا يَفْهَمُونَهَا لِأَنَّهُمْ أَصْنَامٌ وَأَحْجَارٌ، وَالْأَسْتِفْهَامُ لِلتَّوْبِيخِ.

الْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ الشَّفَاعَةَ مُلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولَهُ ﷺ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ أَيُّ: جَمِيعُ أَنْوَاعِ الشَّفَاعَةِ هِيَ مُلْكٌ لِلَّهِ مَخْتَصَةٌ بِهِ فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِذَا فَاطَبَرُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ مَالِكِهَا الَّذِي يَمْلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَيَمْلِكُ مَا تُعْبَدُونَ، وَيَمْلِكُ نَفُوسَكُمْ الَّتِي فِي أَبْدَانِكُمْ، فَيَقْبِضُهَا إِنْ شَاءَ لَتَرْجِعُوا إِلَيْهِ فَيَحَاسِبْكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ.

من هداية الآيات:

- ١ - ظهورُ قدرةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مِمَّا يَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِهِ وَبِلِقَائِهِ.
- ٢ - إِبْطَالُ حُجَّةِ الْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ أَجْلِ الشَّفَاعَةِ لَهُمْ حَيْثُ إِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ.
- ٣ - بَيَانُ خَطَأِ مَنْ يَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَا يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا هُوَ.

الدرس الخامس

الله يحكم بين عباده الآيات (٤٥ - ٤٨) من سورة الزمر

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
اشْمَأَزَّتْ	انقبضت
فَاطِرَ	خالق
وَبَدَأَ	ظهر
وَحَاقَ	أحاط

المعنى الإجمالي:

جريمة المشركين باشمئزازهم من ذكر الله:

تناولت الآيات السابقة بعضاً من جرائم المشركين كالكذب على الله تعالى، وتخويفهم

لِلرَّسُولِ ﷺ بِالْهَتِهِمْ، وجعلهم الأصنامَ شفعاءَ عندَ اللَّهِ تعالى، وهنا تتناولُ جريمةَ أخرى من جرائمهم الناشئة عن عبادتهم للأوثان وهذه الجريمة لها حالتان متناقضتان:

الحالة الأولى: اشمئزهم عند ذكر الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: إذا قيل لا إله إلا الله وحده انقبضت ونفرت قلوب هؤلاء المشركين الجهلاء ونفوسهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) أي يستكبرون عن المتابعة والانقياد لله تعالى فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر.

الحالة الثانية: استبشارهم عند ذكر آلهتهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤٥) أي إذا ذكرت الأصنام والأنداد يفرحون ويسرُّون، وهذا عائذ إلى افتتانهم بأصنامهم، ونسيانهم للأدلة الواضحة والبراهين الساطعة التي تدلُّ على أن الله هو الإله الحق الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له، ولكن الظالمين في ضلال مبين.

تفويض الأمر لله تعالى:

أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يتعلّق بالله وحده لا شريك له ويفوض الأمر إليه وأن يفرغ إليه بالدعاء قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: قل يا محمد: يا الله أنت خالق السماوات والأرض على غير مثال سبق، ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: السر والعلانية ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) أي: تحكم يوم القيامة بين المؤمنين والكافرين فيما اختلفوا فيه في الدنيا من الإيمان بك وبلقائك وصفاتك وعبادتك ووعدك ووعدك فتجازي المحسن بإحسانه وتعاقب المسيء بإساءته.

فائدة: يُسنُّ للمسلم عند اشتداد الكرب أن يدعو بدعاء النبي ﷺ «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم» (٢).

(١) سورة الصفات: ٣٥.

(٢) رواه مسلم.

حَالُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ الْحَاكِمُ بَيْنَ عِبَادِهِ، بَيَّنَّ مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ حَالُ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ حُكْمِهِ عَلَيْهِمْ بِعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أَيَّ أَنَّهُمْ يَتَمَنُّونَ الْاِفْتِدَاءَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَمْوَالٍ وَكُنُوزٍ وَأَضْعَافِ ذَلِكَ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ هَذَا الْفِدَاءُ وَلَوْ كَانَ مَلَأَ الْأَرْضِ ذَهَبًا.

وبعدَ تَمَنِّيهِمُ الْبَاطِلَ، يَزِيدُ اللَّهُ هَمَّهُمْ وَكَرْبَهُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْوَانٍ مِنَ الْعَذَابِ:

١- مَفَاجَأَتُهُمْ بِأَصْنَافٍ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧) أَيُّ: وَظَهَرَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عَذَابٌ لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ وَلَا فِي حِسَابِهِمْ.

٢- فَضْحُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مِنَ الشَّرِكِ وَالْكَفْرِ وَالْعِصْيَانِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَتَزْدَادَ حَسْرَتُهُمْ وَيَشْتَدَّ كَرْبُهُمْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾.

٣- إِحَاطَةُ الْعَذَابِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٤٨) أَيُّ: وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا.

من هداية الآيات:

١- تَقْرِيرُ سَفَهِ الْمُشْرِكِينَ فِي انْقِبَاضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِ التَّوْحِيدِ، وَفَرَحِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِ الشَّرِكِ.

٢- يَفُوضُ الْمُسْلِمُ أَمْرَهُ كُلَّهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

٣- يَتَمَنَّى الظَّالِمُ أَنْ يَفْتَدِيَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ.

٤- التَّحْذِيرُ مِنَ الْاِسْتِهْزَاءِ بِأَخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ.

الدرس السادس

حال الإنسان بين الضر والنفع الآيات (٤٩ - ٥٢) من سورة الزمر

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مَن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
مَسَّ	أَصَابَ
خَوَّلْنَاهُ	أَعْطَيْنَاهُ
يَبْسُطُ	يُوسِّعُ
وَيَقْدِرُ	يُضَيِّقُ

المعنى الإجمالي:

اللَّهُ يَبْتَلِي النَّاسَ بِالضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ:

يَبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَنَاقُضَ الْكَافِرِينَ فِي تَصَرُّفِهِمْ حَالَ الضَّرَّاءِ وَالسَّرَّاءِ:

الحال الأول عند الضراء: فهم يفزعون إلى الله وينسون آلهتهم؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ أي: إذا مس الكافر الضر من مرض أو فقر دعا ربه منيباً إليه ولم يشرك معه أحداً في هذه الحال لعلمه أن الأوثان لا تكشف ضرراً ولا تُعطي خيراً.

الحال الثاني عند السراء وحصول النعم: فهم ينسبون الفضل لأنفسهم؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا حَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: إذا أعطاه الله تعالى نعمة من فضله كفر بنعمة الله تعالى ونسب الفضل لنفسه، وقال إنما أُوتيت هذه النعم على علم مني بطرق تحصيلها؛ فكذبه الله تعالى في زعمه، فقال: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩) أي: ليس الأمر كما زعم هذا الجاحد، بل عطاء الله للناس على سبيل الابتلاء والاختبار ليتبين الشاكر من الجاحد، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن الله تعالى يعطيهم ليفتنهم.

عقاب الله لمن كفر بنعمه:

ثم بين الله تعالى أن الكفر كله ملء واحدة والطغاة والكفار في كل زمان ومكان يتشابهون في أفعالهم وأقوالهم قال تعالى: ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥٠) فهذه المقالة التي قالها الكافر بنعمة الله قد قالها الذين من قبله كقارون وغيره، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا﴾ أي فعاقبهم الله على كفرهم بنعمته فأنزل عليهم العذاب الأليم في الدنيا، وما دفع عنهم العذاب ما كانوا يجمعونه ويكسبونه من أموال طائلة؛ وقد بين الله تعالى هذا الجزاء في موضع آخر قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥١).

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَتُولَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥١)

وقد توعد الله تعالى كفار قريش الذين ظلموا أنفسهم بالشرك ونكران النعم أن الله سيعاقبهم على كفرهم به وبنعمه بإنزال العذاب الأليم في الدنيا كما فعل بمن قبلهم من الظالمين وما هم بهاربين من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ:

ولما ذكرَ اللهُ تعالى أَنَّ الكَفَّارَ قد اغْتَرَّوا بِالْمَالِ، وزَعَمُوا بِجَهْلِهِمْ أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى حُسْنِ عَقْلِ صاحِبِهِ أَخْبَرَهُمْ تعالى أَنَّهُ يَرْزُقُ النَّاسَ حَسَبَ مَشِيئَتِهِ قَالَ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ ﴿فَاللَّهُ تعالى يوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لِحِكْمَةٍ الْإِبْتِلَاءِ وَالْإِخْتِبَارِ وَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ عِنْدَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ بِمَنْفَعَتَيْنِ:

- ١- اليَقِينُ بِعِلْمِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ فِي تَدْبِيرِ خَلْقِهِ.
- ٢- الشُّكْرُ فِي السَّرَّاءِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الضَّرَّاءِ، قَالَ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (١).

فائدة: الاستفهامُ فِي قَوْلِهِ تعالى ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ للتوبيخ.

من هداية الآيات:

- ١- بيانُ تناقضِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَحَيْرَتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ لِبَعْدِهِمْ عَنْ هِدَايَةِ اللَّهِ تعالى.
- ٢- سُنَّةُ اللَّهِ تعالى فِي الظَّالِمِينَ أَنَّهُ سَيَصِيْبُهُمْ كَمَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ جَزَاءَ ظُلْمِهِمْ.
- ٣- بَسْطُ الرِّزْقِ وَتَضْيِيقُهُ لِحِكْمَةِ الْإِخْتِبَارِ وَالْإِبْتِلَاءِ.
- ٤- الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ السَّرَّاءِ يَشْكُرُونَ اللَّهَ تعالى وَعِنْدَ الضَّرَّاءِ يَصْبِرُونَ عَلَى قَدَرِ اللَّهِ تعالى.

(١) رواه مسلم.

الدرس السابع

التعجيل بالتوبة قبل الممات الآيات (٥٣ - ٥٩) من سورة الزمر

﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ٥٤ ﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٥٥ ﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ٥٦ ﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ ﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ ﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٥٩ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
لَا تَقْنَطُوا	لا تيأسوا
بَغْتَةً	فجأة
جَنْبِ اللَّهِ	حق الله
كَرَّةً	رجعة إلى الدنيا

المعنى الإجمالي:

اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً:

تبعثُ الآيةُ الكريمةُ الرجاءَ والأملَ في نفوسِ جميعِ العصاةِ مِنَ المؤمنينَ والكفارِ وتدعوهم إلى عدمِ القنوطِ من رحمتهِ سبحانه وتعالى، فقد أمرَ اللهَ تعالى النبيَّ ﷺ أَنْ يَبْلَغَ نداءَ رَبِّهِ للناسِ الذينَ أفرطوا في ارتكابِ الذنوبِ ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) أي: لا تيأسوا من رحمةِ ربِّكم بكم في أن يغفرَ لكم ذنوبكم جميعاً مهما كثرت، فهو سبحانه الغفورُ الرحيمُ واسعُ المغفرةِ والرحمةِ لمن يشاء من عباده.

فوائد:

الفائدة الأولى: العبادُ ينقسمونَ من حيثُ استحقاقهم لغفرانِ الذنبِ من عدمه إلى قسمين:

● القسمُ الأول: عبادُ مؤمنون؛ وهم بين أمرين:

١- إن تابوا من ذنوبهم قبل موتهم فالله يقبلُ توبتهم كما وعدَ تفضلاً منه وكرماً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ (١).

٢- وإن ماتوا بذنوب لم يتوبوا منها فهم تحتَ مشيئتهِ تعالى، إن شاء غفرَ لهم وإن شاء عذبهم، ثم أدخلهم الجنةَ بفضلِهِ وكرمه.

● القسمُ الثاني: عبادُ غيرِ مؤمنين؛ وهم بين أمرين:

١- إن دخلوا في الإسلام، غُفِرَ لهم ما كانَ منهم قبلَ الإسلامِ لأنَّ الإسلامَ يهدمُ ما قبله.

٢- وإن ماتوا على كفرهم فلنَ يغفرَ اللهَ لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (٢).

الفائدة الثانية: سببُ نزولِ هذه الآية: أنَّ أناساً من أهلِ الشركِ كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتدعو إليه لحسنٌ لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفرًا فنزلَ قوله تعالى ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٣).

(١) سورة الشورى: ٢٥.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

(٣) رواه البخاري.

الفائدة الثالثة: وصف العلماء هذه الآية بأنها أرجى آية في كتاب الله لاشتمالها على بشارات

متعددة منها:

- أضاف الله العباد إلى نفسه.
- نهى الله تعالى عن القنوط من رحمته لمن أسرف في المعاصي.
- أكد الله تعالى أنه يغفر جميع الذنوب.
- وصف الله تعالى نفسه بالغفور الرحيم.

التوبة واتباع القرآن مانع من عذاب الله تعالى:

ثم حث الله تبارك وتعالى عباده على المسارعة إلى كل ما يؤدي إلى منع نزول العذاب الذي لا يستطيع أحد رده ولا يعلم فزده بوقته فأمرهم بفعل أمرين مانعين من العذاب:

الأمر الأول: التوبة وإخلاص العمل: قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ أي:

بادروا أيها المذنبون المسرفون بالرجوع إلى طاعة ربكم وأخلصوا أعمالكم ظاهراً وباطناً لله ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصِرُونَ﴾ أي: قبل أن يحل بكم العذاب لأن الذنوب سبب لنزول العذاب ثم لا تقدرُونَ على منعه ولا دفعه عنكم.

الأمر الثاني: اتباع أوامر القرآن الكريم: فقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ

رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: فيجب عليكم

المسارعة إلى اتباع القرآن الكريم، قبل أن يحل بكم العذاب فجأة وأنتم لا تشعرون به.

فالقرآن الكريم هو أحسن ما أنزله الله إلينا، بسبب ما اشتمل عليه من تشريعات حكيمة وآداب قويمه تؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

ندم المفرط في حق الله تعالى يوم القيامة:

ثم بين الله تعالى أقوال المفرطين في المعاصي والممتنعين عن اتباع القرآن الكريم الدالة

على ندمهم يوم القيامة:

- القول الأول: ﴿بَحْسَرْتُ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي تقول النفس المذنبه: يا حسرتي

وندامتي وغمي وحزني على تفريطي في حقَّ الله تعالى حيث ما عبدته ولا ذكرته ولا شكرتُ له، ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ﴾ ٥٦ أي: وقد كنتُ في الدنيا من المستهزئين بدينه وعباده المؤمنين.

- القول الثاني: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٥٧ أي تقول النفس المذنبة: ليت أن الله هداني، فأكون متقياً له، فأسلم من العقاب، وأستحق الثواب.

- القول الثالث: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٨ أي تقول النفس المذنبة حين تشاهد العذاب: ليت لي رجعة إلى الحياة الدنيا فأكون من الذين أحسنوا أقوالهم وأفعالهم، وعقائدهم، بحيث أخلص العبادَةَ لله - تعالى - وأطيعه في السرِّ والعلن.

فردَّ الله تعالى على هذا النادم الكاذب في ادعائه، المتمني للمستحيل، بقوله تعالى: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَ تِلْكَ عَائِنِي فَكَذَّبْتُ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُ وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٩ أي: بل الحق أن الله تعالى قد أرشدك إليه عن طريق إرسال رسوله، وإنزال كتابه، ولكنك كذبت رسوله، واستكبرت عن سماع آيات الله وعن اتباعها، وكنت في دنياك من الكافرين بها، الجاحدين لصديقها، فأصابك ما أصابك من عذاب في الآخرة.

من هداية الآيات:

- ١- بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول توبة العبد إن تاب مهما كانت ذنوبه.
- ٢- دعوة الله الرحيم إلى عباده المذنبين بالإنباء إليه والإسلام الخالص له.
- ٣- تقرير البعث والجزاء بذكر ما يحدث فيه وما يجري في ساحته من أهوال.
- ٤- فضل التقوى والإحسان وفضل المتقين والمحسنين.

الدرس الثامن

حال الذين كذبوا على الله تعالى يوم القيامة
الآيات (٦٠ - ٦١) من سورة الزمر

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
مُسْوَدَّةٌ	سوداء اللون
مَثْوًى	مأوى
بِمَفَازَتِهِمْ	مكان الفوز وهو الجنة

المعنى الإجمالي:

سواد وجه الكاذبين على الله يوم القيامة:

يخبرُ الله تعالى عن حالة من حالات خزي الكافرين يوم القيامة، فبين الله تعالى جريمتهم وسببها وجزاءها؛ فالجريمة: هي الكذب على الله تعالى.

وأما الجزاء؛ فجازاهم الله بجزاءين:

الجزء الأول: تسويد وجوههم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا

عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ ويسود الله وجوههم لحكم كثيرة منها:

أ- ليكون علامة يُعرفون بها.

ب- ليزل هؤلاء المتكبرين.

الجزء الثاني: العذاب الشديد في جهنم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠) والاستفهام للتقرير؛ وجوابه: بلى، إن في جهنم لمثوى ومستقراً لمن تكبر عن عبادة الله تعالى وعن الإيمان به وبرسوله ﷺ.

والسبب في جريمتهم: هي الكبر عن عبادة الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٦٠) (١).

فوائد:

الفائدة الأولى: الخطاب في ﴿تَرَى﴾ للرسول ﷺ أو لكل من يرى.

الفائدة الثانية: الكذب على الله تعالى يشمل أموراً كثيرة منها:

أ- الكذب عليه في ذاته باتخاذ الشريك والولد والصاحبة.

ب- الكذب عليه في صفاته بالإخبار عنه بما لا يليق بجلاله.

ج- الكذب عليه في شرعه بالقول بما لم يقله.

د- الكذب عليه بتكذيب رسوله ﷺ.

الفائدة الثالثة: التكبر هو شدة الكبر، والكبر هو: مرض قلبي يجعل المرء يستحققر غيره

ويعظم نفسه، ويبن النبي ﷺ آثاره فقال: «الْكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» (٢).

- بطر الحق: عدم قبول الحق.

- غمط الناس: استحقارهم.

الفائدة الرابعة: أخصب مراتب الكبر هي: الشرك بالله تعالى وهو المقصود في الحديث قال

النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ كِبَرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ

فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» (٣).

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

نِجَاةُ الْمُتَّقِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِثْقَاتِ نَجْوَاهُمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦١)

ولما ذكر الله تعالى حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين وقد أعطاهم من النعيم ثلاثاً:

- **النعيم الأول:** ينجيهم الله تعالى من جهنم ويدخلهم في مكان فوزهم وهي الجنة.

- **النعيم الثاني:** لا يمس أبدانهم سوء أبداً؛ بل يبيض الله تعالى وجوههم لتكون بشارة لهم

بدخول الجنة قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٠٧) (١).

- **النعيم الثالث:** لا يدخل قلوبهم حزن أبداً.

وهذا غاية الأمان، فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم إلى دار السلام يأمنون فيها من

كل سوء ومكروه، وتجرى عليهم نضرة النعيم، ويقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ

إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) (٢).

من هداية الآيات

١- تقرير البعث والجزاء بوصف أحواله وما يدور فيه.

٢- تقرير نجات المتقين وفوزهم بالجنة.

٣- يأمن المتقون يوم القيامة أمناً بديناً وقلبياً من السوء والحزن.

(١) سورة آل عمران: ١٠٧.

(٢) سورة فاطر: ٣٤.

الدرس التاسع

الأمر بعبادة الله تعالى وحده الآيات (٦٢ - ٦٧) من سورة الزمر

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
مَقَالِيدُ	مفاتيحُ
لَيَحْبَطَنَّ	ليبطلنَّ
قَدَرُوا	عظّموا
سُبْحَانَهُ	تنزّه وتقدّس

المعنى الإجمالي:

اللَّهُ الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ:

يخبرُ سبحانه وتعالى عن دلائل وحدانيّته، الموجبة لعبادته، بثلاثة من الدلائل هي:

الدليل الأول: أَنَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أَي: مَا مِنْ كَائِنٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا وَهُوَ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ خَالِقُهُ فَكُلُّ شَيْءٍ مُّحْتَاجٌ فِي وَجُودِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَمَا أَعْظَمَ قُدْرَتَهُ.

الدليل الثاني: أَنَّهُ الْقَائِمُ بِحِفْظِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ أَي: قَيِّمٌ حَافِظٌ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُّحْتَاجٌ فِي بَقَائِهِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَمَا أَوْسَعَ عِلْمُهُ.

الدليل الثالث: أَنَّهُ يَمْلِكُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ كُلِّ شَيْءٍ، مِنْ الرِّحْمَاتِ وَالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَأَرْزَاقِ الْعِبَادِ وَمَا بِهِ تَقْوُمُ حَيَاتُهُمْ مِنْ أَمْطَارٍ وَزُرُوعٍ وَضُرُوعٍ وَمَعَادِنٍ وَغَيْرِهَا، يَتَصَرَّفُ فِيهَا كَيْفَ يَشَاءُ فَهُوَ يَنْزِلُ مَا يَشَاءُ وَيُمْسِكُ مَا يَشَاءُ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أَي فِكْلٌ مَنْ كَفَرَ بِالْآيَاتِ وَالْحُجَجِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ تَعَالَى وَأَلُوْهِتِيَّةِ، فَقَدْ خَسِرَ خَسِرَانًا مُّبِينًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَيَخْسِرُ فِي الدُّنْيَا:

- صَلَاحِ الْقُلُوبِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
 - وَصَلَاحِ الْأَلْسُنِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.
 - وَصَلَاحِ الْجَوَارِحِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
- وَيَخْسِرُ فِي الْآخِرَةِ: جَنَاتِ النِّعَمِ وَرُؤْيَا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ:

﴿قُلْ أَفْغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾

ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ الْمَشْرِكِينَ عَلَى جَهْلِهِمْ حَيْثُ طَلَبُوا مِنْهُ ﷺ أَنْ يَعْتَرِفَ بِأَلْهِيَّتِهِمْ مُقَابِلَ أَنْ يَعْتَرِفُوا لَهُ بِدِينِهِ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ: أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ أَبْعَدَ أَنْ عَرَفْتُمْ كُلَّ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ بِكُلِّ مَا يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ تَنْزِيهِهِ وَتَقْدِيسِهِ فَهَذَا لَنْ يَكُونَ مِنِّي أَبَدًا. وَالْأَسْتَفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفْغَيْرَ﴾ لِلْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ، وَوَصَفَهُمُ بِالْجَاهِلِينَ: لِيَدُلَّ عَلَى خِيَاةِ عَقْلِهِمْ وَقِلَّةِ فَهْمِهِمْ.

الشرك محبط للأعمال:

ثم حذر الله سبحانه وتعالى من الشرك أبلغ تحذير فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥) أي: ولقد أوحى الله تعالى إليك أيها الرسول الكريم وأوحى إلى الرسل الذين من قبلك أيضاً لئن أشركت بالله تعالى - على سبيل الفرض - ليفسدن عملك ولتكونن من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هو الخسران المبين، والمقصود بتحذير النبي ﷺ من الشرك هو تحذير الأمة، لأن النبي ﷺ معصوم من الشرك.

وبعد التحذير من الشرك أمر الله تعالى رسوله بأمرين:

الأول: إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾.

الثاني: شكر الله على نعمه وأفضاله، قال تعالى: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦).
فوائد:

الفائدة الأولى: يبطل عمل المرتد إذا مات على الردة أما إن رجع إلى الإسلام فلا يخسر شيئاً مما عمله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ - فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢١٧) (١).

الفائدة الثانية: شكر الله تعالى له ثلاثة أركان:

أ- اعتراف القلب بأن النعمة من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (٢).

ب- التحدث بالنعمة والثناء على المنعم. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١١) (٣).

ج- تسخير النعمة في طاعة المنعم بها. قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ (٤).

(١) سورة البقرة: ٢١٧.

(٢) سورة النحل: ٥٣.

(٣) سورة الضحى: ١١.

(٤) سورة سبأ: ١٣.

المشركون ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ:

بعدمَا وَبَّخَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ عَلَى شُرْكِهِمْ بِهِ يَتَنَ سَبِيبِينَ مِنْ أَسْبَابِ الشَّرِكِ هُمَا:
السَّبَبُ الْأَوَّلُ: الْجَهْلُ بِقُدْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فهُمْ لَمْ يَعْظُمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ حِينَ عَبْدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ وَدَعَوْا نَبِيَّهِ إِلَى الشَّرِكِ.

السَّبَبُ الثَّانِي: الْجَهْلُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ إِذْ هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي يَجْعَلُ الْأَرْضَ بِكُلِّ طَبَقَاتِهَا وَأَجْزَائِهَا فِي قَبْضَتِهِ وَالسَّمَاوَاتِ يَطْوِيهَا بِيَمِينِهِ فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْبُضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ»^(١).

وَقَدْ نَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ عَنِ الشَّرِكِ وَالنَّظِيرِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ، فَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فَائِدَةٌ: مَذْهَبُ السَّلَفِ فِيمَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ كَالْقَبْضَةِ وَالْيَدِ وَالْعَيْنِ هُوَ: إِثْبَاتُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(٢).

من هداية الآيات:

- ١ - اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَصْرِفُ الْأُمُورِ كُلِّهَا فَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ.
- ٢ - التَّنْذِيرُ بِالشَّرِكِ وَبَيَانُ خَطُورَتِهِ إِذْ هُوَ مُحِبٌّ لِلْأَعْمَالِ بِالْكُلِيَّةِ.
- ٣ - وَجُوبُ عِبَادَةِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ فَهُوَ الْمَنْعُمُ الْمَتَفَضِّلُ.
- ٤ - بَيَانُ مَظَاهِرِ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي يَتَنَافَى مَعَهَا الشَّرِكُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الشورى: ١١.

الدرس العاشر

النفخ في الصور الآيات (٦٨ - ٧٠) من سورة الزمر

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
فَصَعِقَ	مات فزعاً
وَوُضِعَ	نشر
وَوُفِّيَتْ	أعطيت جزاءها وافياً

المعنى الإجمالي:

النفخ في الصور أول أهوال يوم القيامة:

يبين الله سبحانه وتعالى بعضاً من شدايد يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة،
وابتداً الله تعالى بالنفخ في الصور لأنه أول ما سيبدأ من أهوال يوم القيامة.
والنفخ في الصور نفختان:

النفخة الأولى: نفخة الصعق ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾؛ وهي التي يموت منها فزعاً أهل السماوات والأرض، إلا من أراد الله عدم موته، والصور هو: القرن الذي يُنفخ فيه الملك إسرافيل عليه السلام.

وتسمى هذه النفخة الأولى: نفخة الفزع قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

ويُنْجِي الله من الموت بهذه النفخة بعضاً من عباده كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ولم يُبين الله تعالى من هم الناجون من الصعق، فاختلف العلماء فيهم: فقيل: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وحمله العرش، وخزنة الجنة والنار. وقيل: هم الذين في الجنة من الحور العين والولدان. والأولى: تفويض العلم بهم إلى الله عز وجل، لأن الله لم يُبينهم، ولم يرد حديث صحيح يُعتمد عليه في تعيين من استثناه الله تعالى.

النفخة الثانية: نفخة البعث ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾؛ وهي النفخة التي بها يقوم الناس من قبورهم لله رب العالمين لأجل الحساب.

الله يقضي بين الناس بالحق والعدل:

وبعد قيام الناس للحساب يتجلى الله تعالى للقضاء بين خلقه، ويكون الظلام شديداً فلا شمس ولا قمر ولا نجوم الكل قد ذهب ولكن ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾، أي فيرون نور الله تعالى يضيء أرض المحشر وفي ذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة يقوون على رؤية هذا النور.

وذكر الله تعالى في هذه الآيات من أمر حساب الخلق شيئين:

● **الأمر الأول:** نشر الصحف ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾؛ أي فينشر كتاب أعمال الناس من الحسنات والسيئات التي سجلها الملائكة الكاتبون ليُعرض على كل إنسان عمله ويُقال للشخص من

(١) سورة النمل: ٨٧.

تمام العدل والإنصاف: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) ﴿١﴾.

● الأمر الثاني: الشهادة ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾؛ فيجيءُ النبیونَ إلى موقفِ الحسابِ ليشهدوا على أممهم أنهم بلغوهم ما كلفهم الله تعالى بتبليغِهِ إليهم، ويجيءُ الشهداء ليشهدوا على أعمالِ الناس، وهؤلاءِ الشهداء يومَ القيامة على أنواع:

- النوع الأول: أمة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

النَّاسِ﴾ (٢).

- النوع الثاني: الملائكة الحفظة، قال تعالى: ﴿وَحَآتَ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٣).

- النوع الثالث: أعضاء الإنسان. فمن أنكر شيئاً من عمله شهدت عليه جوارحه. قال تعالى:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٤).

وبعد شهادة النبيين والشهداء يقضي الله تعالى بين العباد بالعدل التام والقسط القويم فلا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم، حيث قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥).

وبعد القضاء تُعطى كل نفس جزاء ما عملت من خيرٍ وشرٍّ جزاءً وافياً فلا ظلم في الجزاء، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٦) لأن الله تعالى يعلم ما عمله الناس علماً تاماً ففضاؤه خالٍ من الخطأ والجهل والنسيان لتنزهه الباري عز وجل عن ذلك.

من هداية الآيات:

١- تقرير البعث والجزاء ببيان أحواله وما يجري فيه.

٢- النفخ في الصور أول أهوال يوم القيامة.

٣- بيان عدل الله تعالى في قضائه بين العباد.

(١) سورة الإسراء: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

(٣) سورة ق: ٢١.

(٤) سورة يس: ٦٥.

- ٤- فضيلةُ الأمةِ الإسلاميةِ حيثُ تكونُ شاهدةً على الأممِ التي سبقتها.
- ٥- اللهُ تعالى لا يحتاجُ في قضائه إلى كُتُبٍ وشهداءٍ وإنما يتمُّ كلُّ ذلك لإقامةِ الحجةِ وقطعِ المعذرةِ.

الفترة الثانية



الدرس الحادي عشر

مهانة الكفار يوم القيامة الآيات (٧١ - ٧٢) من سورة الزمر

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَنُورُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
زُمَرًا	جماعاتٍ متتابعةٍ
خَزَنَتُهَا	القائمون على أمر النار وهم الزبانية
حَقَّتْ	وجبَتْ

المعنى الإجمالي:

الكفار يساقون إلى النار:

بعد أن حكم الله بين العباد بفريق في الجنة وفريق في السعير بدأ بذكر فريق السعير ليخوف الكفار الذين لم يتعظوا بما تكرر في القرآن من العظات، ويبيّن سبحانه وتعالى في هذه الآيات ثلاثة من أحوال أهل النار:

● **الحال الأول:** حال ذهابهم إلى النار؛ فيساقون إليها كما تُساق الأنعام.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ أي: يُساق هؤلاء الأَشقياء الكفار إلى النار جماعاتٍ متتابعةٍ بعضها في أثر بعضٍ مرتبةً حسب طبقاتهم في الكفر والفساد، ويكون سوقهم عنيفاً بزجرٍ وتهديدٍ كما قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (١) أي: يُدفعون إليها دفْعاً، وهم في ظمأٍ شديدٍ كما قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (٢) أي: عطاشاً.

والغرض من سوقهم بهذه الحال: الإهانة والذلُّ لهم.

● **الحال الثاني:** حال وصولهم إلى النار؛ فيحدث لهم عندها سوءان:

- **السوء الأول:** سرعة فتح الأبواب لهم، قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعاً.

والغرض من سرعة فتح الأبواب: إفراغهم بالمفاجأة وتعجيل العقوبة لهم.

- **السوء الثاني:** التوبيخ والتهكم من قبل خزنة النار: قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: يقول الزبانية للكفار على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم رسلٌ من جنسكم تفهمون منهم ما يتلونه عليكم من آيات ربكم ويحذرونكم ويخوفونكم من شر هذا اليوم؟

فأجاب الكفار على الزبانية معترفين بلا جدال ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: بلى قد أتانا الرسل وبلغونا رسالة الله وأنذرونا، ولكننا لم نطعهم، فوجب العذاب على الكافرين.

● **الحال الثالث:** حال إدخالهم في النار؛ فيسمعون أقوالاً تهينهم وتُخزيهم.

قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٣) أي: قيل لهم على وجه الإهانة والإذلال: ادخلوا أبواب جهنم السبعة، فكل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها، وستبقون خالدين فيها أبداً، لا تخرجون منها ولا يخفف عنكم

(١) سورة الطور: ١٣.

(٢) سورة مريم: ٨٦.

من عذابها فساء وقُبْح مَقْر المتكبرين على الله تعالى .
فائدة: عبّر بالمتكبرين في هذه الآية لبيان أن سبب الكفر هو الكبر، فجازاهم الله على الكبر بالإهانة، والذل، والخزي.

من هداية الآيات:

- ١ - بيان سوق الكافرين إلى النار بعنفٍ وشدة.
- ٢ - إقرار الكافرين أن الرسل قد بلغوهم ولكنهم استكبروا فلم يؤمنوا.
- ٣ - التحذير من الكبر عن طاعة الله تعالى المؤدي إلى النار.
- ٤ - سيلاقي أهل النار جميع أنواع العذاب النفسي والحسي.

الدرس الثاني عشر

ترحيب الملائكة بالمؤمنين الآيات (٧٣ - ٧٥) من سورة الزمر

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
طِبْتُمْ	طهرتم
نَتَبَوَّأُ	ننزل
حَافِينَ	محيطين

المعنى الإجمالي:

المتقون يسرعون إلى الجنة:

يبين سبحانه وتعالى في هذه الآيات حال الأتقياء الأولياء السعداء وهم أصحاب الجنة فيبين ثلاثاً من أحوالهم:

- **الحال الأول:** حال ذهابهم إلى الجنة ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾؛

فَيَسَاقُونَ إِلَيْهَا سَوَاقٍ إِعْزَازٍ وَإِكْرَامٍ؛ وَهُمْ جَمَاعَاتٌ مَكْرَمَةٌ، كُلُّ طَائِفَةٍ مَعَ مَنْ يَنَاسِبُهَا، وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ صِفَةَ أَوَّلِ وَثَانِي زُمَرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمَرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً»^(١).

والغرض من سوقهم: الحثُّ على الإسراع بهم لإكرامهم في الجنة.

● **الحال الثاني:** حال وصولهم إلى الجنة؛ فيحدث لهم عندها فرحتان:

- **الفرحة الأولى:** وجود أبواب الجنة مفتحة لهم. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ

أَبْوَابُهَا﴾ أي: ولما وصلوا إلى الجنة فرحوا لأنهم وجدوها قد فتحت أبوابها من قبل.

والغرض من فتح الأبواب قبل مجيئهم: استقبالهم مُعَزِّزِينَ مَكْرَمِينَ، كما يفتح باب المنزل للضيف قبل قدومه.

- **الفرحة الثانية:** التسليم والثناء من خزنة الجنة ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ

فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾؛ فيقولون لهم: سلامٌ عليكم من كل آفةٍ ومكروهٍ فأنتم الذين طهرتم من دنس الشرك والمعاصي فطاب مقامكم في دار السلام فادخلوا الجنة ماكنين فيها أبداً.

● **الحال الثالث:** حال دخولهم الجنة ونزولهم فيها؛ فيحمدون الله تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ

لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ على

فضله وكرمه؛ فيقولون: الحمد لله الذي حقق لنا وأعطانا الوعد الذي وعدنا به في الدنيا وهو دخول الجنة، وقد أعطانا أرض الجنة الواسعة ننزل منها حيث نريد النزول دون أن يزااحمنا فيها أحدٌ ونتخذ فيها من المنازل حيث نشاء دون أن ينازعنا فيها منازعٌ، فنعمة الجنة أجراً للعاملين بطاعة الله وعبادته.

فائدة: عَبَّرُوا بِالْإِثْرِ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾: إشارة إلى أنهم ورثوا الأرض التي كانت

لأهل النار لو كانوا مؤمنين، إذ لكل إنسانٍ مقعدٌ في الجنة ومقعدٌ في النار فَوَرِثَ الْمُؤْمِنُونَ مَقَاعِدَ أَهْلِ النَّارِ فِي الْجَنَّةِ.

(١) رواه البخاري.

اللَّهُ وحده يستحق المحامد كلها:

لما ذكرَ اللهُ تعالى حُكْمَه في أهلِ الجنةِ والنارِ بالعدلِ، أخبر عن ملائكته ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي أنهم ملتفون حول عرشه يسبحون بحمد ربهم أي يقولون: سبحان الله وبحمده، والمقصود من تسبيحهم: هو تنزيه الله تعالى عن كل نقص، حيث قضى الله تعالى بين الخلائق بالعدل الذي لا ظلم فيه أبداً، ومع تسبيح الملائكة بحمد ربهم ينطق الكونُ أجمعُه بالحمد لله رب العالمين على قضائه بين الخلق بالحق والعدل، فجزى الذين أساءوا بالنار، وجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فائدة: لم يُبين القائلُ في قوله تعالى ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥) ليدل على أن جميع المخلوقات نطقت لله تعالى بالحمد.

من هداية الآيات:

- ١- بيانُ إكرامِ الله تعالى لأوليائه المتقين في ذهابهم إلى الجنة.
- ٢- تفتُّحُ أبوابِ الجنة استعداداً لأهلها ويلقون فيها تحية إكرام.
- ٣- بيانُ نهايةِ الموقفِ باستقرارِ الكفارِ في النار، واستقرارِ المؤمنين في الجنة.
- ٤- تنزُّهُ الله تعالى عن الظلم في حُكْمِه وقضائه.
- ٥- الكونُ كُلُّه ينطقُ بحمدِ الله وجلاله.

بين يَدَيَّ سورة (غافر)

تُسمَّى سورة غافر بسورة: المؤمن، نسبةً إلى مؤمن آل فرعونَ وعددُ آياتها ٨٥ وهي مكيةٌ إلا آيتي (٥٦ و ٥٧) فمدنيتان وقد نزلت بعد سورة الزمر، وتهتمُّ بأمور العقيدة من خلال محاوره المجادلين في آياتِ الله تعالى ليتبين لهم الحق، وأهمُّ ما تشتملُ عليه السورة ما يلي:

أولاً: تحدثتِ السورة عن القرآن الكريم، وبيّنت أنه منزلٌ من عندِ الله تعالى، وأشارت إلى أسماءِ الله الحسنى وصفاته العلىا، ثم عرضتِ السورة تكبّر أهل الكفر وكيف أنهم جادلوا في آياتِ الله تعالى مع وضوح الحق.

ثانياً: عرضتِ السورة عاقبة الجاحدين، وبيّنت أن الله تعالى أخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر، وكشفت عن مشاهد يوم القيامة وأهوالها، وكيف أن الناس يقفون في ساحة العرض أمام الحي القيوم في رهبة وخشوع، وفي هذا اليوم يحاسب الإنسان على أعماله، ويلقى جزاءه.

ثالثاً: تحدثتِ السورة عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وكشفت جانباً من طغيان فرعون وبغيه، ثم عرضت للرجولة في أسمى معانيها متجسدة في شخص مؤمن آل فرعون، وما قدّمه من نصائح غالية دفاعاً عن الحق وهدايةً للخلق.

رابعاً: اشتملتِ السورة الكريمة على بعض الآيات الكونية، الشاهدة على عظمة الخالق ووحدانيته.

خامساً: ذكرتِ السورة الكريمة الدعاء، وبيّنت فضله، ووجّهت المؤمنين إلى اللجوء إلى الله تعالى وحذرت من الإعراض عن الله تعالى، فالدعاء سلاح المؤمن، والدعاء هو العبادة كما جاء عن الرسول ﷺ.

سادساً: وجهتِ السورة الكريمة الرسول ﷺ إلى الصبر، وبيّنت أن عذاب المكذبين نازل بهم إما في الدنيا، أو في الآخرة.

الدرس الثالث عشر

حال المجادلين في القرآن الكريم الآيات (١ - ٦) من سورة غافر

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرِزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
ذِي الطَّوْلِ	ذِي الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ
فَلَا يَعْرِزُكَ	فَلَا يَخْدَعَنَّكَ
لِيُدْحِضُوا	لِيَبْطِلُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ

المعنى الإجمالي:

فائدة عن الحروف المتقطعة:

بدأت السورة الكريمة بـ ﴿حَمَّ﴾ وهما حرفان من الحروف المتقطعة التي ترد في مقدمة بعض السور الكريمة وتفيد فوائد كثيرة منها:

الفائدة الأولى: الدلالة على إعجاز القرآن الكريم، فلن يستطيع أحد الإتيان بمثله.

الفائدة الثانية: لفت الانتباه والتحفيز إلى الاستماع للقرآن الكريم.

القرآن الكريم من عند الله تعالى:

يخبرُ الله تعالى أنه نَزَلَ القرآن الكريم على عبده ورسوله محمد ﷺ حيث قال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وقد وصفَ الله تعالى نفسه بأنه العزيزُ العليمُ، فهو العزيزُ الذي لا يغلبُه أحدٌ ولا يمنعُه مانعٌ من أمره ومُرادِه، وهو العليمُ بخلقِه وحاجاتهم ومتطلباتهم، فأنزلَ الكتابَ لهدايتهم وصلاحتهم.

صفات الله تعالى:

ثم بيّن الله تعالى بعضاً من صفاته العلية فقال سبحانه: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾.

- **الصفة الأولى:** غافر الذنب، فهو تعالى وحده يغفر ذنب المستغفرين.
 - **الصفة الثانية:** قابل التوب، فهو تعالى وحده يقبل توبة التائبين.
 - **الصفة الثالثة:** شديد العقاب، فهو تعالى وحده شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.
 - **الصفة الرابعة:** ذو الطول، فهو تعالى ذو المَنِّ والخَيْرِ الكثيرِ والعطاء الجزيل.
 - **الصفة الخامسة:** الوحدانية: فهو تعالى لا إله إلا هو، ولا معبودَ بحقٍ سِوَاهُ.
- وهو سبحانه وتعالى الذي يرجع إليه كل الخلق، فسبحان من تقدست أسماؤه وعلت صفاته.

تسليّة الله تعالى لرسوله ﷺ:

ثم يُسَلِّي الله تعالى رسوله ﷺ بقوله: ﴿مَا يَجْدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لما يُلَاقِيهِ مِنْ تَكْذِيبِ الْمُكْذِبِينَ، وَإِعْرَاضِ الْمُعْرِضِينَ، مَبِيناً أَنَّهُ لَا يُخَاصِمُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلَا يَطْعَنُ فِيهِ، وَلَا يَكْذِبُهُ، إِلَّا الْجَاحِدُونَ لآيَاتِ اللَّهِ، الْمَعْرِضُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ ظُهُورِهِ وَوُضُوحِهِ، فَلَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَغْرُزُكَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ بَسِطِ الرِّزْقِ وَالنَّعْمِ الَّتِي يَتَقَلَّبُونَ فِيهَا فَإِنَّهُمْ مُعَاقِبُونَ، وَعَاقِبَتُهُمُ الدَّمَارُ وَالْهَلَاكُ.

فائدة: المقصودُ بالغرورِ في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾ ﴿٤﴾ هو: ظنُّ المرءِ الشيءَ حسناً ولكنه ليس كذلك.

هلاكُ الأممِ المكذبةِ لرسليها:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالْبَاطِلِ يُدْحِضُونَ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ﴿٥﴾.

ثم يوضحُ الله تعالى أنَّ الأممِ السابقةَ كذَّبتْ رُسُلَهَا، وَلَمْ يُؤْمِنْ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ فَقَدْ كَذَّبَ قَوْمُ نُوحٍ نَبِيَّهُمْ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ نُوحٍ رَسَلاً لَأَقْوَامِهِمْ فَصَارُوا أَحْزَاباً عَلَيْهِمْ فِي التَّكْذِيبِ وَالضَّلَالِ، وَعَزَمَتْ كُلُّ أُمَّةٍ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَى رَسُولِهَا وَإِذَائِهِ، وَخَاصَمُوا رَسُولَهُمْ بِالْبَاطِلِ وَذَلِكَ بِإِرَادِ شُبْهِ بَاطِلَةٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَهْلَكَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِأَلْوَانِ الْعَذَابِ، فَكَانَ عِقَاباً أَلِيماً لَهُمْ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَكَمَا حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ حَكَمَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿٦﴾.

من هداية الآيات:

- ١- القرآن الكريمُ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٢- بيانُ فضلِ الإيمانِ وأَهْلِهِ.
- ٣- أَهْلُ الْبَاطِلِ يُعَادُونَ - دائماً - الْأَنْبِيَاءَ وَالرَّسُلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
- ٤- هلاكُ الأممِ المكذبةِ لرسليها سُنَّةٌ إلهيَّةٌ.

الدرس الرابع عشر

دعاء الملائكة للمؤمنين الآيات (٧ - ٩) من سورة غافر

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ نَقِ
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
سَبِيلَكَ	دينك الإسلام
وَقِهِمْ	احمهم وادفع عنهم
الْجَحِيمِ	النار

المعنى الإجمالي:

استغفار حملة العرش للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾
تُظْهِرُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَمَلَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ رَبِّهِمْ، وَالَّذِينَ حَوْلَ الْعَرْشِ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ حَيْثُ يُنْزَهُونَ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَحْمَدُونَهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ

ويسألون الله تعالى ثلاثة أدعية:

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

- **الدعاء الأول:** مغفرة ذنوب المؤمنين ووقايتهم من النار: فهم يقولون: يا ربنا وسعت رحمته وعلمك سائر المخلوقات فاغفر للذين تركوا الشرك واتبعوا الإسلام فانقادوا لأمرِكَ ونهيكَ واحفظهم يا ربنا من عذاب النار.

فائدة: من الأسباب الجالبة لدعاء الملائكة للمسلم: الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ. مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ صَلَاتِهِ أَوْ يُحْدِثْ»^(١).

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

- **الدعاء الثاني:** إدخال المؤمنين وأهليهم الجنة: فالملائكة تضرع إلى ربها قائلة: وأدخلهم - أي المؤمنين - جنات عدن ينعمون فيها، خالدين فيها أبداً، كما وعدتهم فإنك لا تخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢)، وألحق - اللهم تعالى - بالمؤمنين آبائهم وأزواجهم وذرياتهم الصالحين ليكونوا معهم في جنات عدن وإن قصرت بهم أعمالهم، فإن الاجتماع بالأهل والعشيرة في مواضع الشُّرور يكون أكمل للبهجة والأنس إنك أنت الغالب الذي لا يهزم، والحكيم الذي لا يخطئ.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

- **الدعاء الثالث:** الوقاية من عقاب السيئات: فالملائكة تضرع إلى الله تعالى بأن يحفظ المؤمنين من عقاب السيئات لينالوا رحمة الله تعالى، فإن من يغفر له ويعف عنه يوم

(١) رواه الشيخان.

(٢) سورة التوبة: ٧٢.

القيامة فقد رحمته، وهذا هو الفوز العظيم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ
الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(١).

فائدة: من آداب الدعاء: الثناء على الله تعالى والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، كما فعلت
الملائكة حيث قالوا قبل الدعاء: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، وأثناء الدعاء
قالوا: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٨).

من هداية الآيات:

- ١ - العذاب الأليم مصير المكذبين.
- ٢ - دعاء الملائكة للمؤمنين بالرحمة.
- ٣ - ينبغي الثناء على الله تعالى قبل الدعاء وبعده.

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

الدرس الخامس عشر

اعتراف الكفار بذنوبهم يوم القيامة

الآيات (١٠ - ١٢) من سورة غافر

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
لَمَقْتُ	المقت: أشد البغض
خُرُوجٍ	رجوع إلى الدنيا
فَالْحُكْمُ	القضاء

المعنى الإجمالي:

حسرة الكفار يوم القيامة:

بعد أن بين الله تعالى حال المؤمنين وأنهم هم وأزواجهم وذرياتهم في دار النعيم بين هنا حال الكافرين في دار الجحيم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾، حيث يبغضون أنفسهم أشد البغض ويلعن بعضهم بعضاً ويتحسرون على عدم الإيمان بالله تعالى، وعند ذلك يناديهم خزنة جهنم: لَغَضِبُ اللَّهُ تَعَالَى الْيَوْمَ أَشَدُّ مِنْ غَضَبِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فلقد كنتم تدعون إلى الإيمان

بِاللَّهِ تَعَالَى وَلَكِنَّكُمْ كَفَرْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ وَجَادَلْتُمْ فَلَيْسَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَّا غَضَبٌ وَعَذَابٌ عَظِيمٌ.
فائدة: اللام في قوله تعالى: ﴿لَمَقْتُ﴾ واقعة في جواب قسم، تقديره: والله لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم.

تمني الكفار العودة إلى الدنيا:

تبيين الآية الكريمة ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (١١) اعتذار أهل الباطل وتمنيهم العودة إلى الدنيا لعمل الصالحات والطاعات، وذلك حين يقولون: يا أيها القادر العظيم إنك قد أحييتنا بعدما كنا أمواتاً ثم أمّتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على كل شيء، وقد اعترفنا بذنوبنا من الشرك بك والتكذيب بآياتك ولقائك وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في دار الدنيا، فهل من طريق إلى العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية لنؤمن بك ونوحّدك ونطيعك ولا نعصيك فأنت القادر على كل شيء.

فوائد:

الفائدة الأولى: بدأ الكفار سؤالهم الرجوع إلى الدنيا بقولهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ﴾ ليتلطّفوا في سؤال الله تعالى الرجوع إلى الدنيا.

الفائدة الثانية: أَمَاتَ اللَّهُ الْخَلْقَ مَوْتَيْنِ:

- **الموتة الأولى:** عندما كان الناس عدماً لم يُخلَقوا.
 - **والموتة الثانية:** عندما أَمَاتَ اللَّهُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا بِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ.
- وأحيا الله الخلق مرتين:**

- **الحياة الأولى:** لما أخرج الله الخلق من بطون أمهاتهم.
 - **والحياة الثانية:** عندما بعث الله الخلق من قبورهم يوم القيامة.
- الفائدة الثالثة:** سبب اعتراف المشركين بذنوبهم: أنّهم عاينوا البعث بأنفسهم.
- الفائدة الرابعة:** الكفار يسألون الرجعة إلى دار الدنيا عدة مرات:

- **المرّة الأولى:** عند وقوفهم بين يدي الله تعالى في عرصات القيامة قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) (١).

– **المرّة الثانية:** إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من العذاب قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧) ﴿١﴾.

– **المرّة الثالثة:** إذا دخلوا النار وذاقوا عذابها، كما أخبر الله تعالى عنهم في هذه الآية الكريمة. وكما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (٢) ﴿٢﴾.

لا سبيل إلى الخروج من النار:

ثم يجيب الله تعالى الكفار قائلاً: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (٣٢) ﴿٣﴾ أي أنه لا سبيل إلى الخروج من النار ولا الرجوع إلى الدنيا، ويبن لهم سببين لخلودهم في النار:

– **السبب الأول:** الكفر بوحداية الله تعالى: فكنتم أيها الكفار إذا ذكر الله وحده كفرتم وأنكرتم أن تكون الألوهية خالصة لله وحده لا شريك له.

– **السبب الثاني:** الإيمان بشريك لله تعالى: فكنتم أيها الكفار إذا عبد غير الله صدقتموه وآمنتم به، وما ذلك إلا لفساد طباعكم، ورفضها للحق.

فالحكم اليوم لله العلي في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، وهو الكبير الذي له الكبرياء والعظمة في أسمائه وصفاته وأفعاله، وهو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه، وقد حكم بأنه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته.

من هداية الآيات:

- ١ – بيان عاقبة الكفار.
- ٢ – عدم جدوى الاعتذار يوم القيامة.
- ٣ – تقرير عقيدة التوحيد وإبطال الشرك.
- ٤ – الحياة الدنيا محل قبول التوبة.

(١) سورة الأنعام: ٢٧.

(٢) سورة فاطر: ٣٧.

الدرس السادس عشر

لا تخفى على الله تعالى خافية الآيات (١٣ - ٢٠) من سورة غافر

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
الرُّوح	الوحي
يَوْمَ التَّلَاقِ	يوم القيامة
خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ	نظرة العين إلى مُحَرَّمٍ

المعنى الإجمالي:

آيات الله في الكون:

تُظْهِرُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا

مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ عظمة الله تعالى، فهو سبحانه الذي يريكم - أيها الناس - علامات قدرته في الكون الدالة على ربوبية خالقها، والموجبة لتوحيده، وينزل لكم من السماء المطر، فيخرج به الزرع والتّبات والثّمار بألوانٍ وطُعومٍ وأشكالٍ مُختلفةٍ، مع أنها تُسقى كلّها بماء واحدٍ، ولكن لا يتعظّ بتلك الآيات الباهرة والنعم الكثيرة إلا الراجع إلى ربّه، الخاشع المطيع.

ثمّ يوجّه الله تعالى المؤمنين إلى الإخلاص في العبادة والدعاء قائلاً: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤)، ولو كره الكافرون، فلا تبالوا بهم ولا يصرفكم عن دينكم. **فائدة:** سمّى الله تعالى المطر رزقاً لأنّه من أهمّ أسباب رزق العباد، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًا كَثِيرًا﴾ (٤٩) (١).

صفات الله تعالى:

يخبر الله - تعالى - في الآية الكريمة ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٥) عن ذاته مبيّناً ثلاثاً من صفاته سبحانه وتعالى:

- **الصفة الأولى:** رفيع الدرجات، أي أنّ الله تعالى هو العليّ الأعلى ذو الشأن العظيم والصفات العلا والأسماء الحسنى، المنزّه عن مشابهة المخلوقات.

- **الصفة الثانية:** ذو العرش، صاحب العرش وخالقه ومالكه وهو سبحانه وتعالى مستور عليه.

- **الصفة الثالثة:** يلقي الرّوح من أمره على من يشاء من عباده، أي ينزل الوحي على من يريد من عباده ممّن يصطفيهم.

وقد بيّن الله تعالى الغاية من إنزال الوحي وبعث الرسل -عليهم السلام- وهي أن يندروا عباده من عذاب يوم القيامة، ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ أي وفي ذلك اليوم تبرز الخلائق للواحد القهار، ظاهرين لا شيء يخفيهم ولا يستترهم عن الله تعالى، وفي هذا اليوم ينادي الله تعالى الخلائق في المحشر: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، فيجيب الله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ

(١) سورة الفرقان: ٤٨-٤٩.

الْقَهَّارُ ﴿١﴾، لله الواحد الذي قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِعِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، قال ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَتَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»^(١).

فوائد:

الفائدة الأولى: سَمَّى اللَّهُ الْوَحْيَ رُوحًا: لأن القلوب تحيا بالوحي كما تحيا الأبدان بالأرواح.

الفائدة الثانية: سَمَّى اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ التَّلَاقِ: لأنَّ فيه يلتقي أهل الأرض بأهل السماء والمخلوقات بخالقهم.

عَدْلُ اللَّهِ بَيْنَ خَلْقِهِ:

بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ يَوْمُ الْجَزَاءِ الْعَادِلِ، فَيَجَازِي فِيهِ كُلَّ إِنْسَانٍ بِعَمَلِهِ إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا وَإِنْ شَرًّا أَفْشَرًا، وَلَا ظُلْمَ فِي الْحُكْمِ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ، فَلَا يَنْقُصُ مِنْ ثَوَابِهِ وَلَا يُزَادُ فِي عِقَابِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَرِيعُ الْحِسَابِ لِعِبَادِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحِيطُ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ فَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، فَيَحَاسِبُ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ كَمَا يَرْزُقُهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

حَالُ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الرَّسُولَ الْكَرِيمَ أَنْ يَخَوْفَ كِفَارَ قَرِيشٍ مِنْ يَوْمِ الْأَرْزَاقِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَقَدْ بَيَّنَّ تَعَالَى حَالَيْنِ مِنْ أَحْوَالِ الظَّالِمِينَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

- **الحال الأول:** ارتفاع القلوب إلى الحناجر، وذلك بسبب الخوف الشديد في هذا اليوم.

- **الحال الثاني:** السكوت وكظم النفس، وذلك بسبب الغم والكرب الذي ألجم ألسنتهم

عن الكلام.

(١) أخرجه البخاري.

وقد بيّن الله تعالى أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ليس لهم قريب يدفع عنهم العذاب ولا نصير يخفف عنهم العقاب، بل تنقطع عنهم كل أسباب الخير.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١٩) ثم بيّن الله تعالى أنه العالم المحيط بدقائق الأمور فهو يعلم النظرة الخائنة التي تختلس النظر إلى المحرم، ويعلم الله -أيضاً- كل ما تُسرّه الضمائر من أمور خير أو شرٍّ، وما تخفيه الصدور من الرغبات والنوايا والخواطر.

فائدة: سمّى الله تعالى يوم القيامة بيوم الآزفة: لقرب وقوعه.

قضاء الله العادل:

توضّح الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢٠) أن الله تعالى يقضي بين الناس بالحق والعدل فيجازي كل أحد بما يستحقّه من خير وشرٍّ فهو سبحانه وتعالى منزّه عن الظلم، وقد ورد في الحديث القدسي على لسان النبي ﷺ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا»^(١).

أما الآلهة التي تعبدونها يا أهل مكة من دون الله فإنها لا تحكم ولا تقضي بشيء أبداً لعجزها عن ذلك، إن الله هو السميع لأقوالكم، البصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

من هداية الآيات:

- ١- بيان هول يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه.
- ٢- لا حميم ولا شفيع للظالمين يوم القيامة.
- ٣- بيان سعة علم الله تعالى حتى إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
- ٤- قضاء الله عدلٌ وحُكْمُهُ نافذٌ وذلك لكمال علمه وقدرته.

(١) أخرجه مسلم.

الدرس السابع عشر

الاعتبار من هلاك الكفار الآيات (٢١ - ٢٢) من سورة غافر

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
فَيَنْظُرُوا	يعتبروا
وَاقٍ	حافظ
بِالْبَيِّنَاتِ	المعجزات

المعنى الإجمالي:

الاعتبار من أخبار السابقين:

لَمَّا خَوَّفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كِفَارَ قَرِيشَ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ أَرَادَ تَخْوِيفَهُمْ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا فَأَرْشَدَهُمْ سُبْحَانَهُ إِلَى الْإِعْتِبَارِ بِغَيْرِهِمْ، قَائِلًا: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ أي ألم ير هؤلاء الكفار أثناء سيرهم في البلاد شمالاً وجنوباً العذاب

الذي نزل بالمكذبين من الأمم السابقة من أمثال عادٍ و ثمودَ، فلقد دَمَّرَ الله - تعالى - بيوتهم، وأهلك أموالهم، رغم أنهم كانوا أشدَّ منهم قوةً لكبر أجسامهم وكثرة عددهم، وتلك آثارهم من المباني الفارِهة، والحصونِ العالية، وما أنشؤوا من المدنِ والحضاراتِ، لكنهم استمروا في جحودهم وكفرهم، فأخذهم الله تعالى أخذَ عزيزٍ مقتدرٍ، بسببِ ذنوبهم، وما كان لهم من يحفظهم من عذابِ الله تعالى ولا يقيهم ممَّا نزلَ بهم، فاعتبروا يا كفارَ قريشٍ فإنَّ السعيدَ من اتَّعَظَ بغيره قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾ وَقَدْرُوتَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ۚ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ۝(١) وقد وردَ في السنة أنَّ الرسول ﷺ كان إذا مرَّ بديارِ الظالمينَ أسرعَ في المشي فعن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: مررنا مع رسولِ الله ﷺ على الحجرِ فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكنَ الذينَ ظلموا أنفسهم إلاَّ أن تكونوا باكينَ حذرًا أن يصيبكم مثلُ ما أصابهم ثم زجرَ فأسرعَ» (٢) ومعنى: (زَجَرَ): أي زَجَرَ ناقته لتُسرعَ.

فائدة: الاستفهامُ في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ إنكارِيٌّ، حيثُ ينكرُ عليهم عدمَ اتعاظهم من العذابِ الذي نزلَ بالمكذبين.

الدَّمارُ عاقبةُ أهلِ الكفرِ:

بيَّنَ الله تعالى قائلاً: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢٢﴾ أَنَّ الهلاكَ نزلَ بالأقوامِ السابقةِ لكفرهم بالله تعالى وبما جاءهم رسلهم به من البينات الواضحات التي تدلُّ على وحدانيةِ الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى ذو قوَّةٍ شديدةٍ، وبطشٍ كبيرٍ، وذو عقابٍ مؤلمٍ، يفعلُ كلَّ ما يريدُ، لا يعجزه شيءٌ في الأرضِ ولا

(١) سورة العنكبوت: ٣٨-٤٠.

(٢) رواه مسلم.

في السماء، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (١٠٢) **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴿١٠٣﴾ (١).

فوائد:

الفائدة الأولى: وصف الله تعالى نفسه بالقوة وشدة العقاب: تهديداً لكفار قريش وأمثالهم.

الفائدة الثانية: للذنوب والمعاصي آثارٌ قبيحةٌ على القلب والعقل والبدن، ومن هذه الآثار:

١ - حرمان العلم. قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢) (٢).

٢ - حرمان الرزق. قال ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالدَّنْبِ يُصِيبُهُ» (٣).

٣ - ذهاب النعم. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١١٢) (٤).

من هداية الآيات:

- ١ - تقرير الحكمة القائلة: العاقل من اعتبر بغيره.
- ٢ - الأخذ بالذنوب سنة من سنن الله في الأرض لا تبدل.
- ٣ - من أراد الله عقابه فلن يوجده له ناصرٌ ينصره، ومن تاب قبل الله توبته.

(١) سورة هود: ١٠٢-١٠٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) حسنه الألباني.

(٤) سورة النحل: ١١٢.

الدرس الثامن عشر

منهج أهل الباطل في مواجهة الحق
الآيات (٢٣ - ٢٧) من سورة غافر

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْعَانِ وَقَرَأُوا فَكَذَّبُوا سَجِرًا كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
مُبِينٍ	واضح
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ	استبقوا نساءهم للخدمة
ضَلَالٍ	ضياح

المعنى الإجمالي:

دعوة موسى عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْعَانِ وَقَرَأُوا فَكَذَّبُوا سَجِرًا كَذَابٌ ﴿٢٤﴾﴾ يقصُّ الله تعالى على رسوله ﷺ في تلك الآيات قصة نبيه موسى

عليه السلام مع فرعون ليسلي بهها ويصبره وليعلمه أن البلاء مهما اشتد يعقبه الفرج، وأن الله تعالى ناصره على قومه كما نصر موسى على فرعون، فلقد أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون وهامان وقارون يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وقد أيد الله تعالى رسوله موسى عليه السلام بالأدلة الواضحة والبرهان الظاهر على صدق دعوته وصحة رسالته، إلا أن من أرسل إليهم اتهموه بالسحر والكذب، حماية لمصالحهم وخوفاً من تغيير الوضع عليهم، وشأن المتسلطين المستكبرين ألا يذعنوا لكلمة الحق، حفاظاً على مراكزهم ومكانتهم بين الناس.

فوائد:

الفائدة الأولى: المراد بالآيات في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ هي التسع آيات التي أرسل بها موسى عليه السلام وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد والقمل، والضفادع والدم، والقحط، وانفلاق البحر.

الفائدة الثانية: المراد بالسلطان المبين في قوله تعالى ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ التوراة.

الفائدة الثالثة: خص الله تعالى بالذكر في تلك الآيات هامان وقارون لقوة تأثيرهما في البلاد، فهامان كان وزيراً لفرعون، أما قارون فقد كان من أصحاب الأموال الوفيرة والثروات الضخمة قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (١).

أساليب أهل الباطل في مواجهة الحق:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۝٢٦ ﴾ يتخذ - دائماً - أهل الباطل عندما تضيق بهم السبل في مواجهة الحق طرقات ملتوية، وفرعون وهامان ومن معهم لما رأوا الحق الذي جاء به نبي الله موسى عليه السلام وظهرت أمامهم البراهين على نبوته لم يكتفوا بمعارضتها وإنكارها،

(١) سورة القصص: ٧٦.

بل عقدوا عزمهم على جريمتين:

- **الجريمة الأولى:** الأمر بقتل الذكور وترك النساء، حيث قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق، وما مكر الكافرين إلا في ضياع.

- **الجريمة الثانية:** الرغبة في قتل موسى عليه السلام، فقال فرعون لقومه: دعوني أقتل موسى، وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إليهم، فليمنعه من القتل إن قدر على ذلك، وبين فرعون سببين لقتل موسى عليه السلام:

- **السبب الأول:** الخوف من أن يبدل موسى عليه السلام دين الدولة والشعب، فقال لهم فرعون: إنني أخشى عليكم يا شعب مصر أن يغير دينكم الذي أنتم عليه، ويدخلكم في دينه.

- **السبب الثاني:** أن يظهر موسى الفساد في البلاد. فقال لهم فرعون: أو أخشى أن يوقع بين الناس الخلاف والفتنة والإفساد، فتكثر الخصومات والمنازعات.

المؤمن يعتمد على الله تعالى:

ترشد الآية الكريمة ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢٧) المؤمنين إلى الاعتماد على الله والتوكل عليه، فإذا كان فرعون اعتز بجبروته وبطشه وقوته، فإن موسى عليه السلام اعتصم بالله تعالى، وقال داعياً ربه لما سمع قول فرعون وتهديده له بالقتل: إنني استجرت بالله، وعذت به من شره وشر كل مستكبر عن الإذعان للحق، لا يؤمن بيوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء.

فائدة: للتوكل على الله تعالى فضائل كثيرة منها:

الفضل الأول: حفظ العبد من كل سوء، فقد عصم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وقد جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَنَدْرُوكَ فِي نُحُورِهِمْ»^(١).

الفضل الثاني: البركة في الرزق، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ

(١) رواه أحمد وصححه الألباني.

تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرَوْحُ بِطَانًا»^(١) ومعنى:
خِمَاصًا أي: جِيعًا، وَبَطَانًا: مَمْتَلِئَةُ الْأَجْوَافِ، ومعنى تَغْدُو: تَخْرُجُ أَوَّلَ النَّهَارِ، تَرَوْحُ: تَعُودُ
آخِرَ النَّهَارِ.

من هداية الآيات:

- ١- تسليّة الرسول ﷺ وحمّله على الصبر.
- ٢- عدم تورع الظلمة في كلّ زمانٍ عن الكذبِ وتلفيقِ التهمِ للأبرياء.
- ٣- التهديدُ بالقتلِ منهجُ الجبارينَ والطغاةِ في العالمِ.
- ٤- أحسنُ ملاذٍ للمؤمنِ مَنْ كلّ خوفٍ هو التوكّلُ على الله تعالى.

(١) مسند أحمد وصححه الألباني.

الدرس التاسع عشر

كلمة الحق أمام سلطان جائر الآيات (٢٨ - ٣٣) من سورة غافر

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
مُسْرِفٌ	متجاوز الحد في الظلم
دَابٍ	عادة
مُدِيرِينَ	هاربين من النار

المعنى الإجمالي:

وجوب إظهار الحق:

تبين الآية التالية: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ

يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴿فضل إظهار كلمة الحق أمام أهل الباطل فقد وقف رجل مؤمن من آل فرعون، كان يكتُم إيمانه خوفاً من فرعون وجنوده منكراً عليهم ما أرادوه من قتل موسى ﷺ قائلاً لهم: لا ينبغي لكم أن تقتلوا رجلاً لم يرتكب ذنباً سوى أنه قال: ربِّي الله، وقد أظهر الأدلة على صدقه، ومثل هذا القول لا يستدعي قتلاً، فإذا كان موسى ﷺ كاذباً فيما يدعيه من أنه مُرسلٌ من عند الله، فإنَّتم كذبه يعودُ عليه، وليس عليكم من إثمه شيءٌ. وإن كان صادقاً فيما يقول فلا ينبغي لكم أن تقتلوه لأنكم إن قتلتموه أسخطتم ربكم عليكم واستوجبتم عقابه الذي أنذركم به موسى ﷺ لأن الله - تعالى - لا يوفق من تجاوز الحد في الاعتداء والظلم، وعاش على الكذب والخداع بين الناس.

فوائد:

الفائدة الأولى: في قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ الاستفهام للإنكار ينكر على فرعون وملئه عزمهم على قتل موسى ﷺ.

الفائدة الثانية: لم يشك مؤمن آل فرعون في صدق موسى ﷺ عندما قال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا﴾ وإنما قال ذلك ليتلف مع الخصم حتى لا يكثر الجدل.

موقف مشرف من السيرة النبوية:

إذا كان القرآن الكريم أثنى على مؤمن آل فرعون فإن التاريخ الإسلامي يسجل بأحرفٍ من نور مواقف من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ، وكيف دافع عن الرسول ﷺ فقد روى البخاري وغيره أن المشركين تعرضوا للرسول ﷺ حول الكعبة بسوء فجاء أبو بكر يصرخ فيهم أقتلون رجلاً أن يقول ربِّي الله، فضربوه ضرباً شديداً حتى أُغمي عليه فلما أفاق قال كيف رسول الله ﷺ؟ قال علي رضي الله عنه: أبو بكر أفضل من مؤمن آل فرعون لأن أبا بكر ما أخفى إيمانه بل أظهره وأوذي، ومؤمن آل فرعون كتم إيمانه ولم يؤذ.

نصيحة مؤمن آل فرعون لقومه:

لم يقف الرجل المؤمن عند حدّ الدفاع عن موسى ﷺ فحسب، بل ذهب يقدّم النصائح الغالية لقومه ولمن كان حاضراً في القصر آنذاك، وهي:

﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٢٩﴾

النصيحة الأولى: صيانة النعم والمحافظة عليها: بدأ هذا الرجل بتذكير قوم فرعون بنعم الله قائلًا لهم: لقد أنعم الله تعالى عليكم بهذا الملك، وبالرفعة في الأرض، فلا تعرضوا أنفسكم لغضب الله تعالى بقتل موسى ﷺ فإنه لا ناصر لكم ولا معين إن نزل بكم عذاب الله تعالى؛ ولما سمع فرعون قول هذا الرجل الصالح قال لمن حوله: لا أرى إلا قتل موسى حسماً للفتنة، وهذا هو طريق الهداية والرشد.

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ٣١﴾

النصيحة الثانية: التحذير من العذاب الديني: حذّر الرجل المؤمن قومه من العذاب الذي نزل بالمكذبين في الدنيا قائلًا لهم: إنني أخشى عليكم إن كذبتم موسى أن يصيبكم مثل ما أصاب الأقوام الذين تجمعوا على أنبيائهم، وكذبوا رسلهم، من أمثال قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط، فقد حلّ بهم عذاب الله تعالى، ولم يجدوا ناصرًا لهم ينصرهم، والله تعالى عدلٌ في حكمه لا يريد ظلم أحدٍ من عباده، فلم يهلك الناس بغير ذنب؟.

النصيحة الثالثة: التحذير من عذاب الآخرة: ثمّ خوّف الرجل الصالح قومه من عذاب الآخرة قائلًا لهم: إنني أخشى عليكم عذاب يوم القيامة، حين يُنادى على الناس وحين تفرّون هاربين من النار، لا تجدون مانعاً يحميكم من عذاب الله، ومن يحرمه الله تعالى من الصواب، فلا مرشد له.

فوائد:

الفائدة الأولى: سُمِّي يومُ القيامةِ بيومِ التنادٍ: لأنَّه يكثرُ فيه النداءُ فينادي أصحابُ الجنة أصحابَ النار وينادي أصحابُ النار أصحابَ الجنة وينادي بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك.

الفائدة الثانية: تعدُّ النصيحةُ من أُسسِ الإيمانِ وأصلِ الدينِ، لأنَّ نصَحَ المسلمينَ في دينهم يحفظُهم عليهم قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ». قالوا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «لِلَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَامَّتِهِمْ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(١).

والنصيحةُ لله: هي إخلاصُ العبادةِ لله وحده.

والنصيحةُ لكتابِ الله: هي الإيمانُ به والعملُ بما فيه.

والنصيحةُ لرسوله: هي التصديقُ بنبوته واتباعُ سنته.

والنصيحةُ لأئمةِ المؤمنين: هي أن يطيعَ ولاةَ الأمورِ والعلماءَ في الحقِّ.

والنصيحةُ لعامةِ المسلمين: هي إرشادُهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية.

من هداية الآيات:

١ - فضلُ الإيمانِ وفضلُ صاحبه.

٢ - نصيحةُ مؤمنٍ آلِ فرعونَ لقومه هي ثمرةُ إيمانه.

٣ - الكذبُ والافتراءُ من أقبحِ الخصالِ.

(١) صححه الألباني.

الدرس العشرون

رسالة يوسف عليه السلام

الآيات (٣٤ - ٣٥) من سورة غافر

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كُفْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
هَلَكَ	مات
مُرْتَابٌ	شاك
سُلْطَانٍ	برهان
مُتَكَبِّرٍ	متعالي على الحق

المعنى الإجمالي:

الكفر برسالة يوسف عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ لَمَّا أَحَسَّ مؤمن آل فرعون عدم انتفاع السامعين بالنصائح التي قدمها لهم، انتقل إلى عتابهم ولومهم

بقوله: لقد أرسل الله تعالى يوسف بن يعقوب من قبل موسى عليه السلام إلى أسلافكم من أهل مضر بالآيات الواضحات، والمُعْجَزَاتِ الباهرَاتِ فشكُّوا في صدِّقه فلم يؤمنوا به مدة حياته، حتَّى إذا مات ازداد شكُّكم وشرككم وقتلتم: لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، ومثل ضلال الذين كذبوا يوسف عليه السلام يُضِلُّ اللَّهُ تعالى كلَّ مسرفٍ متجاوز الحدِّ في الضلال مرتابٍ في دين الله - تعالى - وشاكٍّ في وحدانيته.

فائدة: اللام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ واقعة في جواب القسم.

يغضُّ الله تعالى الجدل في الباطل:

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٣٥)

ثم أخبرهم الرجل المؤمن أنَّ الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة لديهم ولا برهان أتاهم فإنهم مُبْغَضُونَ عند الله تعالى وعند المؤمنين بغضاً شديداً، وكما طبع الله تعالى على قلوب آل فرعون بالضلال يطبع الله تعالى بالضلال على كل قلب متكبر على الحق، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه على الخلق.

فائدة: الجدل نوعان:

النوع الأول: الجدل المحمود: وهو الجدل الذي يبحث صاحبه عن الحق فيقبله، ومن

أمثلته:

- الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١)

- الوصول للحكم الصحيح في الدين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) (٢).

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

النوع الثاني: الجدل المذموم: وهو الجدل الذي يبحث صاحبه عن الباطل، ومن أمثلته:

- الجدل للتضليل وردّ الحق، قال تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۚ﴾^(١) وقال ﷺ «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُ الْخَصِمُ»^(٢) وهو الذي يجادل بغير علم، قال تعالى: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

أمّا الجدل في أمور الدنيا فالأحسن والأسلم أن يتركه الشخص وإن كان على حق، حتى لا يفضي إلى التباغض، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». والمراء: الجدل.

من هداية الآيات:

- ١- تقرير نبوة نبي الله يوسف عليه السلام.
- ٢- يضلُّ الله كل مسرفٍ مرتابٍ.
- ٣- حرمة الجدل بغير علم.
- ٤- الكبر من الذنوب العظيمة.

(١) سورة غافر: ٥.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سورة آل عمران: ٦٦.

الفترة الثالثة



الدرس الحادي والعشرون

كيد الظالمين في خسران الآيات (٣٦ - ٣٧) من سورة غافر

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
صَرَحًا	بناءً عالياً
أَسْبَابَ	طرق
تَبَابٍ	ضياع

المعنى الإجمالي:

بغى فرعون وتكبره:

تَقْصُّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ جانباً من ضلال فرعون، وتُظْهِرُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ سَفِهِ وَجَنُونٍ عِنْدَمَا رَأَى سُلْطَانَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَ مِنْهُ، وَبِخَاصَّةٍ بَعْدَمَا آمَنَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاحِدٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لِرِوْزِيرِهِ هَامَانَ مُسْتَهْزِئاً وَمَكْذِباً مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعْوَتِهِ: يَا

هامان ابن لي قَصْرًا عَالِيًا، لَعَلِّي أَصْعَدُ فَأَبْلُغُ طُرُقَ السَّمَاوَاتِ وَأَبْوَابَهَا، حَتَّى أَصِلَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى، وَإِنِّي لَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنْ أَنَّ لَهُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا نَبِيًّا، وَهَكَذَا زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ الْعَمَلُ الْقَبِيحُ وَصُرِفَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى طُرُقِ الضَّلَالِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٨).

ثم بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَكْرَ فِرْعَوْنَ وَتَدْبِيرَهُ لِقَتْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ آمَنَ بِهِ فِي خَسَارٍ وَضِياعٍ لَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْهُ شَيْءٌ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفَظَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يَتِمَّ كُنْ مِنْهُمْ فِرْعَوْنٌ أَبَدًا.

فوائد:

الفائدة الأولى: العمل الذي يزيئُه الشيطانُ للشخص ينقسمُ إلى قسمين:

- **القسم الأول:** تزيينُ المعصية: فَمَنْ حَسُنَتْ المعصيةُ فِي عَيْنِهِ فاقتَرَفَهَا بِلَا خَجَلٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَعَ فِي الضَّلَالِ.

- **القسم الثاني:** تزيينُ عبادةٍ ليست من الدين: وهي البدعة، فالبدعةُ أَشَدُّ مِنَ المعصية، لِأَنَّ البدعةَ يَفْعَلُهَا الْإِنْسَانُ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ لَهَا، قَالَ ﷺ: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (٢).

الفائدة الثانية: الكيدُ ينقسمُ إلى قسمين:

- **القسم الأول:** كيدٌ حقٌّ، وَهُوَ مَا كَانَ غَرَضُهُ إِظْهَارَ الْحَقِّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِكِيدْ كَيْدًا﴾ (١٦) فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَمْهَلَهُمْ رَوْدًا (١٧) (٣).

- **القسم الثاني:** كيدٌ باطلٌ، وَهُوَ مَا كَانَ غَرَضُهُ إِظْهَارَ الْبَاطِلِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٢٦) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ (٢٧) (٤).

(١) سورة فاطر: ٨.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة الطارق: ١٦-١٧.

(٤) سورة غافر: ٧٦.

(٥) سورة النساء: ٣٧.

الفائدة الثالثة: الفرق بين المكر والكيد: أنَّ المكر تفكيرٌ وتخطيطٌ أما الكيدُ فعملٌ وتطبيقٌ.

من هداية الآيات:

- ١ - إخفاق حيل الكفار في إبطال الحق.
- ٢ - استحسان المعصية أقبح الذنوب.
- ٣ - الله يحفظ عباده المؤمنين من كيد الكافرين.
- ٤ - الحذر من مصاحبة أهل السوء.

الدرس الثاني والعشرون

أسباب النجاة

الآيات (٣٨ - ٤٦) من سورة غافر

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۝٣٨ ﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ
الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝٣٩ ﴿ ۝٣٩ ﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ
إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠ ﴿ ۝٤٠ ﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي
إِلَى النَّارِ ۝٤١ ﴿ ۝٤١ ﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ۚ مَا لِيَ بِهِ ۖ عَلِمْتُ أَنَا أَدْعُوكُمْ
إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ۝٤٢ ﴿ ۝٤٢ ﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْ أَلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٤٣ ﴿ ۝٤٣ ﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ
لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝٤٤ ﴿ ۝٤٤ ﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا
مَكَرُوا وَحَاقَ بِحَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥ ﴿ ۝٤٥ ﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦ ﴿ ۝٤٦ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
سَبِيلَ الرَّشَادِ	طريق الهدى
الْقَرَارِ	الاستقرار
لَا جَرَمَ	حقاً
وَحَاقَ	نزل

المعنى الإجمالي:

نصائح جامعة:

أعادَ مؤمنُ آلِ فرعونَ النصْحَ لقومه حرساً عليهم من عذابِ اللَّهِ تعالى، فعرضَ عليهم نصائحَ تجمُّعِ صنوفِ الخيرِ، وتتمثلُ تلكَ النصائحُ فيما يلي:

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ أَتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٣٨).

النصيحة الأولى: وجوبُ اتباعِ سبيلِ الرشاد:

دعا الرجلُ المؤمنُ قومه إلى اتباعِ هذا الدينِ الذي هو سبيلُ الخيرِ والرشادِ والهُدَى، فمن اتَّبَعَ دعوةَ موسى عليه السلام فقد هُديَ إلى صراطٍ مستقيم.

﴿يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٣٩).

النصيحة الثانية: الآخرةُ خيرٌ وأبقى:

بيَّن مؤمنُ آلِ فرعونَ لقومه أنَّ الدنيا متاعٌ زائلٌ يتمتُّعُ بها أياماً ثم تنقطع وتزولُ وأنَّ الآخرةَ هي الدارُ الباقيةُ التي لا تزولُ فهي منزلُ الاستقرارِ، فينبغي لكم أن تعملوا لها عملاً يسعدُكم في الآخرة، قال تعالى:

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧).

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤٠).

النصيحة الثالثة: الإيمانُ باللهِ تعالى طريقُ الجنة:

ثم بيَّن مؤمنُ آلِ فرعونَ لقومه مظاهرَ رحمةِ اللَّهِ تعالى فمن عملَ في الحياةِ الدُّنيا عملاً سيئاً فإنَّه لا يعاقبُ إلاَّ بمقدارِ عمله دونَ مضاعفةٍ للعقابِ فاللَّهُ تعالى عدلٌ لا يظلمُ، ومن عملَ عملاً صالحاً ذكراً كان أو أنثى وهو مؤمنٌ دخلَ الجنةَ، وتمتَّعَ بما فيها من رزقٍ كريم، ونعيمٍ دائمٍ لا ينقطع، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧).

(١) سورة الأعلى: ١٧.

(٢) سورة النحل: ٩٧.

﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ﴾ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عَلَّمَ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾

النصيحة الرابعة: الشرك بالله تعالى طريق النار:

ثم واصل الرجل المؤمن دعوة قومه إلى الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، فقال لقومه متعجباً من أمرهم: مالي أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله تعالى، وتدعونني إلى الشرك بالله تعالى الذي يوجب النار، أدعونني أن أكفر بالله تعالى وأعبد معه شريكاً لا علم لي بصحة ألوهيته فأنا أعلم أن الله هو الواحد الذي يستحق العبادة وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، وهو الغفار لمن آمن به.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتِ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٤٣) هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٤﴾

ثم بين لهم حقيقة الأصنام التي يعبدونها قائلاً لهم: حقاً إن هذه الأصنام التي تدعونني إلى عبادتها لا تنفع ولا تضر ولا تستجيب لمن دعاها لا في الدنيا ولا في الآخرة. ثم بين لهم أن مرجع الناس جميعاً إلى الله العليم بكل الأشياء، وهو الذي يجازي كل نفس بما كسبت، وأن المسرفين في الشرك بالله تعالى هم أصحاب النار. **فائدة:** الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾ للتعجب.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٤٤)

النصيحة الخامسة: الثقة بالله تعالى طريق النصر المبين:

ثم ختم الرجل المؤمن نصحه بتحذيرهم من بأس الله تعالى فقال لهم: ستذكرون ما أمرتكم به ونهيئتكم عنه إذا نزل بكم العذاب فتندمون حيث لا ينفع الندم، وأفوض أمري إلى الله تعالى وأتوكل عليه وأستعين به ليعصمني من كل سوء، فهو سبحانه وتعالى البصير الذي يعلم حالي ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشئته فإن سلطكم عليّ، فبحكمته تعالى ومشئته.

حفظ الله لعباده وتعذيبه لأعدائه:

﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

ثم بين الله تعالى أنه قد حفظ الرجل المؤمن ووقاه السوء الذي دبره له فرعون، وأنزل الله تعالى آل فرعون سوء العذاب في ثلاثة مواطن:

الموطن الأول: في الدنيا، فغرقوا في البحر جميعاً.

الموطن الثاني: في القبر، حيث يُعرضون من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار أول النهار وآخره.

الموطن الثالث: في يوم القيامة، فيقال لحزنة جهنم: أدخلوا آل فرعون النار التي هي أشد العذاب.

فائدة: ثبت عذاب القبر بهذه الآية، يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعُدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

من هداية الآيات:

١ - بيان الفرق الكبير بين من يدعو إلى النجاة وبين من يدعو إلى النار.

٢ - ذم الإسراف في كل شيء.

٣ - بيان فضل النصيحة.

٤ - التوكل على الله تعالى وتفويض الأمر إليه.

٥ - المعبودات من دون الله لا تنفع ولا تضر.

٦ - إثبات عذاب القبر ونعيمه.

(١) رواه الشيخان.

الدرس الثالث والعشرون

تخاصم الكفار في النار الآيات (٤٧ - ٥٢) من سورة غافر

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۖ ﴾ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ (٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۖ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ ﴾ (٥٢)

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
يَتَحَاجُّونَ	يتخاصمون
مُغْنُونَ	دافعون
حَكَمَ	فصل

المعنى الإجمالي:

تخاصم أهل النار:

تبين الآيات الكريمة ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ﴾

إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ المخاصمة والجدل الذي سيجري في النار بين الرؤساء الأقوياء الذين استكبروا عن الإيمان وبين أتباعهم الضعفاء، فيخاطبُ الله تعالى رسوله ﷺ في الآية الكريمة أي: اذكرْ لقومك - أيها الرسول الكريم - تخاضم الكفار وهم في النار، حيث يقولُ الأتباع الضعفاء للرؤساء الأقوياء: إنا كنا تابعين لكم، وقد أطعناكم فيما دعوتونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال، ودخلنا النار بسبب اتباعكم، فهل تدفعون عنا جزءاً من العذاب، أو تتحملونه عنا؟

فأجابهم الرؤساء في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِبْرَأَهُ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾** نحن وأنتم جميعاً في جهنم، فكيف نُغني عنكم؟ فلو قدرنا على دفع شيء من العذاب لدفعناه عن أنفسنا، إنَّ الله قضى قضاءه العادل بين العباد، فأعطى كل واحد منا ما يستحقه من العذاب.

لجوء الكفار إلى خزنة جهنم:

ولما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم، اتَّجَّه الضعفاء والسادة إلى خزنة جهنم وسألوهم أن يطلبوا الله تعالى لهم أن يخفف عنهم مقدار يوم من العذاب. ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾** 》.

فردَّت الخزنة عليهم موبِّخين وملزمين لهم بالحجة: ﴿ **قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتٍ قَالُوا بَلَى قَالُوا فادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾** 》 أما جاءكم الرسل في الدنيا بالحجج والأدلة الواضحة على توحيد الله تعالى، والتحذير من سوء العاقبة؟ أجاب أهل النار: بلى، قد جاءتنا الرسل فكذبناهم ولم نؤمن بهم ولا بما جاؤوا به من الحجج.

فردَّت عليهم الخزنة ساخرة منهم: إذا كان الأمر كما ذكرتم، فادعوا أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسوله، ثم أخبروهم بأن دعاءهم لا يفيد شيئاً، لأن دعاء الكافرين بالله ورسوله في ضياع لا يقبل ولا يستجاب.

فوائد:

الفائدة الأولى: خزنة جهنم: الملائكة المختصون بتعذيب أهل النار.

الفائدة الثانية: سؤال الكفار تخفيف العذاب يدل على شدة المهانة والذل.

نصرُ الرسل على أعدائهم في الدنيا والآخرة:

ثم يقررُ الله تعالى حقيقةً عظيمةً ﴿ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ**

الْأَشْهَادُ ٥١ ﴾ وهي أَنَّ مَنْ سَنَّ الله تعالى التي لا تتخلفُ أنه ينصرُ رسله وأتباعهم المؤمنين في الدنيا والآخرة ويجعلهم الغالبين لأعدائهم القاهرين لهم وإن طال الزمان واشتدت المحن، كما نصرَ الله تعالى نوحاً وإبراهيمَ وموسى وصالحاً وهوداً عليهم السلام على أقوامهم، قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ١٧٢** ﴾ (١).

ووعَدَ الله تعالى أنه ينصرُ رسله في الآخرة حين يقومُ الأشهادُ وهم الشهودُ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، الذين يشهدون للرسُل بتبليغ الرِسالَةِ ويشهدون على الأمم.

فوائد:

الفائدة الأولى: خصَّ الله تعالى نصرَ الرسل عليهم السلام والمؤمنين يومَ يقومُ الأشهادُ للدلالة على ظهورِ النصرِ ووضوحه للأولين والآخرين من الأمم.

الفائدة الثانية: مِنْ طُرُقِ نصرِ الله تعالى لرسَلِهِ والمؤمنين في الدنيا:

- أن ينصرَ دينهم ويظهره وإن طال الزمن.

- أن يهلكَ عدوَّهم وينجيهم.

الفائدة الثالثة: ينصرُ الله تعالى رسله والمؤمنين في الآخرة بأمرين:

الأمر الأول: يجازي الله تعالى المؤمنين أحسنَ الجزاءِ ويدخلهم الجنة.

الأمر الثاني: يجازي الله تعالى المشركين أسوأَ الجزاءِ ويدخلهم النار.

لا يُقبلُ من المشركين اعتذارهم يومَ القيامة:

يبيِّنُ الله تعالى أنه لن يقبل من المشركين اعتذاراً يومَ القيامةِ فقال سبحانه: ﴿ **يَوْمَ لَا يَنْفَعُ**

الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ ﴾، وليسَ لهم إلا الطردُ من رحمةِ الله تعالى، ولهم جهنمُ وبئسَ القرارُ.

(١) سورة الصفات: ١٧١ - ١٧٢.

فائدة: قدّم الجار والمجرور «وَلَهُمْ» في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٢﴾ للاهتمام بالانتقام منهم.

من هداية الآيات:

- ١- الجدال والخصام يشتد يوم القيامة في نار جهنم بين الأتباع وبين الرؤساء المستكبرين.
- ٢- ذم الكبر لأنه عائق عن الطاعة.
- ٣- عدم قبول المعذرة يوم القيامة.
- ٤- عدم استجابة الدعاء للكفار من أهل النار.
- ٥- الملائكة والمؤمنون يشهدون يوم القيامة للأنبياء بالإبلاغ، وعلى الأمم بالتكذيب أو التصديق.

الدرس الرابع والعشرون

آيات الله تعالى هدى للناس الآيات (٥٣ - ٥٦) من سورة غافر

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَىٰ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۖ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ فِيهِ ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْبِغُونَ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۖ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
الْكِتَابَ	التوراة
بِالْعَشِيِّ	المساء
وَالْإِبْكَرِ	الصباح
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ	التجأ إلى الله

المعنى الإجمالي:

التوراة هدى ونور لبني إسرائيل:

يسلّي الله تعالى الرسول ﷺ ممّا يلاقي من قومِهِ وَيَبَيِّنُ لَهُ مَثَلاً مِنْ أَمْثَلِهِ نصره لرسوله
بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي

الْأَلْبَبِ ﴿٥٤﴾ أي أنه أرسل موسى ﷺ وآتاه المعجزات وخصّه بالتوراة وجعلها هدايةً لبني إسرائيل فتوارثوها خلفاً عن سلفٍ فصارت تذكراً لأولي العقول السليمة.

فائدة: لم يحفظ بنو إسرائيل التوراة بل حرّفوها وبدّلوها ووضعوا فيها الكذب والأباطيل قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾^(١).

طريق النصر:

ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ بثلاثة طرق لتكون سبباً لنصره على أعدائه:

● **الطريق الأول:** الصبر، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي: اصبر على أذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل فإن العاقبة لك، وإن وعد الله تعالى بالنصر لعباده المؤمنين حق ثابت لا يخلفه أبداً، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾^(٢).

● **الطريق الثاني:** الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أي: اطلب من الله تعالى أن يغفر لك ذنبك، والمقصود من استغفار الرسول ﷺ أمران:

- **المقصد الأول:** إظهار عبادة الاستغفار، فإن رسول الله ﷺ معصوم من جميع الذنوب قبل النبوة وبعدها.

- **المقصد الثاني:** تعليم وحث الأمة على الاستغفار.

● **الطريق الثالث:** التسبيح، قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾﴾ أي: سبّح أيها الرسول بحمد ربك في الصباح والمساء، ولا يفتّر لسألك عنه. والمراد بالتسبيح: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به.

فوائد:

الفائدة الأولى: من فضائل الاستغفار:

(١) سورة البقرة: ٧٩.

(٢) سورة غافر: ٥١.

١- نزول رحمة الله تعالى: قال تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٤٦) (١).

٢- سعة الرزق: قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (١٠) يُرْسِلِ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجعل لكم أنهرًا (١٢)﴾ (٢).

٣- تفريج الهموم: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (٣).

الفائدة الثانية: أفضل صيغة للاستغفار: كما قال ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مَوْقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مَوْقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» (٤).

وسُمِّيَ سيد الاستغفار؛ لأنه جمع معاني التوبة كلها.

الفائدة الثالثة: من فضائل التيسيح:

١- أنه أحب الكلام إلى الله تعالى. قال ﷺ: «إِنْ أَحَبَّ الْكَلَامَ إِلَى اللَّهِ، سَبَحَانَ اللَّهَ وَبِحَمْدِهِ» (٥).

٢- به تُغرس نخلة في الجنة. قال ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» (٦).

الاستعاذة طريق العصمة من أهل الباطل:

﴿إِنَّ الْذِّبَ يُجَدِّدُونَ فِي عَايَاكَ اللَّهُ يَغْيِرُ سُلْطَانِ أَتَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥٦).

(١) سورة النمل: ٤٦.

(٢) سورة نوح: ١٠-١٢.

(٣) رواه أبو داود وصححه.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه مسلم.

(٦) صححه الألباني.

ثم يَبَيِّنُ اللَّهُ تعالى لرسوله ﷺ أن سببَ مجادلةِ المشركين له هو الكِبَرُ الذي مَلَأَ قلوبَهُم فهم يجادلونَ لدفعِ الحقِّ بالباطلِ ويحاولونَ ردَّ الحججِ الصحيحةِ بالشبهِ الفاسدةِ، بلا برهانٍ ولا دليلٍ على صحةِ ما يقولون، إنما يفعلون ذلكَ لما في صدورهم من استكبارٍ عن اتباعِ الحقِّ، واحتقارٍ لمن جاءهم بالحقِّ، ولن يبلغوا ما يريدون من إخمادِ الحقِّ، وإعلاءِ الباطلِ، وسيبقى الحقُّ هو الغالبُ دائماً.

فعليك أَيُّها الرسولُ الكريمُ بالاستعاذةِ باللَّهِ من شرِّهم، واللجوءِ إليه والاستعانةِ به لدفعِ كيدهم، فهو السميعُ لأقوالهم، البصيرُ بأفعالهم، لا تخفى عليه خافيةٌ، وهو لهم بالمرصادِ، وسيُفْهَرُونَ عما قريبٍ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٦) (١).

من هداية الآيات:

- ١- بيانُ مَنَّةِ اللَّهِ تعالى على موسى ﷺ وبني إسرائيلَ بإنزالِ الكتابِ وتوريثِهِ فيهم هدىً وذكرى لأولي الألباب.
- ٢- وجوبُ الصبرِ والتحملِ في ذاتِ اللَّهِ تعالى، والاستعانةِ على ذلكَ بالاستغفارِ والذكرِ والتسبيحِ.
- ٣- مجادلةُ المشركينَ في آياتِ اللَّهِ بغيرِ حجةٍ عقليةٍ أو نقليةٍ.
- ٤- المؤمنُ عليه الاستعاذةُ باللَّهِ من شرِّ الكفارِ.

(١) سورة فصلت: ٣٦.

الدرس الخامس والعشرون

الدعاء هو العبادة

الآيات (٥٧ - ٦٠) من سورة غافر

﴿ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٥٧ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٥٨ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٩ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
السَّاعَةُ	القيامة
لَا رَيْبَ	لا شك
دَاخِرِينَ	ذليلين

المعنى الإجمالي:

عَظُمَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُجَادَلَةَ الْمُشْرِكِينَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ، وَكَانَ مِنْ جِدَالِهِمْ بِالْبَاطِلِ إِنْكَارُ الْبَعْثِ، بَيَّنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بُرْهَانًا ظَاهِرًا عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ حَيْثُ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الْبَشَرِ، فَمَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِهِمَا مَعَ عَظَمِهِمَا كَيْفَ يَعْجُزُ عَمَّا هُوَ أَهْوَنُ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾^(١)، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْجَلِيَّةُ، لِفَرْطِ غَفْلَتِهِمْ وَعَدَمِ تَفَكُّرِهِمْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِلْغَافِلِ، وَشَبَّهَهُ بِالْأَعْمَى، وَمَثَلًا لِصَاحِبِ الْحُجَّةِ، وَشَبَّهَهُ بِالْبَصِيرِ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ. فَقَالَ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وَكَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، بِمَنْ كَفَرَ وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ، فَمَا أَقَلُّ مَا يُتَعَطَّى بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ.

فائدة: اللام في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ﴾ جوابٌ لقَسَمٍ محذوفٍ تقديرُهُ: «والله لخلق».

الساعة آتية لا ريب فيها:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

وبعد بيان قدرته على البعث والنشور، أتبعه بالإخبار عن وقوعها حتمًا، مبينًا أنها آتية لا ريب فيها فآمنوا بذلك إيمانًا قاطعًا لا شك فيه، ولكن أكثر الناس أي: الكفار لا يصدقون بالبعث، بل يكذبون بوجوده، لقصور أفهامهم، وضعف عقولهم عن إدراك الحجة.

عبادة الله تعالى طريق النجاة من النار:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

ولمَّا أثبت الله تعالى أن القيامة حقٌ وصدقٌ، أوضح طريق النجاة في هذا اليوم وهو عبادة الله تعالى وحده ومن أشرف أنواع العبادة الدعاء، قال: ادعوني أحب لكم دعاءكم، وأما الذين يتكبرون عن دعاء الله وعبادته وحده، سيدخلون جهنم صاغرين ذليلين يُعَذَّبُونَ بها أبدًا وهذا وعيدٌ شديد لمن استكبر عن دعاء الله تعالى.

(١) سورة الأحقاف: ٣٣.

فوائد:

الفائدة الأولى: يجبُ دعاءُ الله تعالى وحده فيما اختصَّ به كالرزق والبركة والنصر والشفاء وغيره، أمّا دعاءُ غير الله تعالى كالموتى والأولياء فيما اختصَّ به الله تعالى كالرزق والولد ونحوه فهو محرمٌ شرعاً، لأن القادر على إجابة الدعاء هو الله تعالى وحده.

الفائدة الثانية: يغضبُ الله تعالى على مَنْ لا يدعوه، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَضِبَ عَلَيْهِ»^(١).

قال الشاعر:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدَمَ حاجةً وسلِ الذي أبوابه لا تُحجَّبُ
اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤاله وترى ابنَ آدَمَ حين يُسألُ يغضبُ

الفائدة الثالثة: للدعاء آدابٌ كثيرةٌ منها:

١ - افتتاحُ الدعاءِ وختمه بالثناءِ على الله تعالى والصلاةِ على النبي ﷺ.

٢ - الإلحاحُ بالدعاء.

٣ - استقبالُ القبلةِ ورفعُ اليدينِ وخفضُ الصوتِ.

الفائدة الرابعة: هناك أوقاتٌ يستحبُّ فيها الدعاءُ منها:

الدعاءُ في ليلةِ القدرِ، ودبرِ الصلواتِ المكتوبةِ، وبينَ الأذانِ والإقامةِ، وعندَ نزولِ الغيثِ، وعندَ السفرِ، ودعوةِ الصائمِ عندَ فطره، والدعاءُ عندَ شربِ ماءٍ زمزمَ.

من هداية الآيات:

١ - تقريرُ البعثِ بالدليلِ الحسني.

٢ - لا يستوي المحسنُ والمسيئُ عندَ الله تعالى.

٣ - قربُ وقوعِ الساعةِ مع تحثُّمِ مجيئها.

٤ - الدعاءُ هو العبادةُ فمن دعا غيرَ الله فقد أشركَ بالله.

٥ - الوعيدُ الشديدُ لمن تركَ الدعاءَ.

(١) رواه أحمد وأحمد والحاكم.

الدرس السادس والعشرون

مظاهر قدرة الله تعالى في خلقه
الآيات (٦١ - ٦٤) من سورة غافر

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
لِتَسْكُنُوا فِيهِ	لترتاحوا فيه
مُبْصِرًا	مضيئاً
تُؤْفَكُونَ	تصرفون
قَرَارًا	ثابت

المعنى الإجمالي:

أدلة استحقاق الله تعالى للعبادة:

تبيّن الآية الكريمة ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ أن الله تعالى هو المستحق للعبادة بعدة أدلة:

الدليل الأول: تعاقب الليل والنهار:

أوجد الله تعالى تعاقب الليل والنهار، فجعل الليل مظلماً للسكون والنوم والراحة، وجعل النهار مضيئاً بالشمس لإبصار الحوائج وطلب المعاش، ومزاولة الصناعة والتجارة والزراعة والتنقل بالأسفار وزيارة الأقطار، وغير ذلك من مصالح العباد التي من خلالها تستقيم الحياة. والله تعالى وحده المتفضل على الناس بهذه النعم التي لا تُحصى، ولكن أكثر الناس من الكفار لا يشكرون النعم ولا يعترفون بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ (٦) ﴿١﴾.

الدليل الثاني: خلق الله تعالى لكل شيء:

ثم تعرض الآيات ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ﴾ (٦٢) ﴿٢﴾ مظهراً من مظاهر قدرة الله تعالى للناس ليؤمنوا به ويعبدوه وحده، حيث بين سبحانه وتعالى أنه خلق كل شيء من ليل ونهار وسماء وأرض وغير ذلك فلا إله غيره ولا رب سواه، فكيف تنصرفون عن توحيدهِ، وتحولون عن عبادته إلى عبادة الأصنام وغيرها مما لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وبسبب جحودهم لآيات الله صرفهم الله تعالى عن الحق فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿٣﴾ أي: كما صرف هؤلاء الكفار عن الإيمان بالله تعالى يصرف عنه كل من كفر بآيات الله فلا يؤفق إلى الحق ولا يهتدي إلى الرشيد.

الدليل الثالث: إبداع خلق الأرض والسماء:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾

ثم بين سبحانه وتعالى أنه هو الذي جعل الأرض موضع استقرار، تستقر عليها المباني والأمتعة، ويحيا فيها الأشخاص ويموتون، ويمشون ويتصرفون في أنحاءها، وجعل أيضاً السماء سقفاً للعالم مرفوعاً محفوظاً ثابتاً بغير عمد، لا ينهدم ولا يتصدع، وزينها بالكواكب والنجوم.

الدليل الرابع: إبداع خلق الإنسان وتيسير رزقه:

ثم أظهر الله تعالى قدرته وعظمته في خلق الإنسان فقال سبحانه: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤) ﴿٤﴾ فبين أنه هو الله الذي خلقكم أيها الناس في أحسن صورة، من انتصاب القامة، وتناسب

(١) سورة العاديات: ٦.

الأعضاء، والقدرة على مزاوله أنواع المعاش، ورزقكم من طيبات الرزق ولذائذه من الطعام والشراب والملابس وغيرها، ذلكم المتصف بهذه الصفات الجليلة، المنعم بهذه النعم العظيمة، هو الرب الذي لا تصلح الربوبية لغيره، فتبارك الله رب العالمين أي: تعظم وتنزه عن مشابهة الإنس والجن وسائر الخلق.

فوائد:

الفائدة الأولى: من فضائل الشكر:

- ١- قوة الإيمان: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١).
- ٢- رضا الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^(٢).
- ٣- زيادة النعم: قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٣).

الفائدة الثانية: سجدة الشكر سنة:

فمن حدث له نعمة، أو اندفعت عنه نقمة، فيسُنُّ له أن يسجد شكرًا لله، سواء كان متوضئًا أو غير متوضئ، وسواء كان مستقبلًا القبلة أو غير مستقبل القبلة. وإن كان الأفضل أن يسجد على طهارة ويكون مستقبلًا القبلة، قال رسول الله ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ سُرُورٍ أَوْ بُشْرٍ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لِلَّهِ»^(٤).

من هداية الآيات:

- ١- الأدلة على وحدانية الله وقدرته بيّنة واضحة.
- ٢- الليل والنهار آيتان من آيات الله تعالى الدالة على كمال قدرته.
- ٣- الله تعالى خلق الأرض مستقرًا للناس.
- ٤- من نعم الله تعالى على الناس أنه خلقهم في أحسن صورة.
- ٥- الكفار يجحدون آيات الله تعالى فكان سبباً في صرفهم عن الحق.

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الزمر: ٧.

(٣) سورة إبراهيم: ٧.

(٤) رواه أبو داود في سننه.

الدرس السابع والعشرون

وفي أنفسكم أفلا تبصرون
الآيات (٦٥ - ٦٨) من سورة غافر

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥)
﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨)

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
أُسْلِمَ	أنقاد
نُطْفَةٍ	مني
أَشَدَّكُمْ	كمال عقلكم وقوتكم

المعنى الإجمالي:

وجوب إخلاص العبادة لله تعالى وحده:

يبيّن الله تعالى صفة الإله الحق فأخبر عن نفسه ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) أي أنه هو الحي الذي لا يموت، المنفرد بالحياة الدائمة الباقية الكاملة وكل شيء سواه لا تدوم حياته فهو الله لا إله غيره، ولا معبود

بحقِّ سواه، فيجبُ عليكم أيُّها الناس أن تُخلصوا لله تعالى في العبادة والدعاء والعمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^(١) والله تعالى هو الذي يستحقُّ الحمد والشكر على نعمه، فهو ربُّ العالمين من الملائكة والإنس والجنِّ وجميع الخلق، ومالكُ أمرهم ومدبِّرُ حالهم.

فائدة: للحمدِ مواضع كثيرة منها:

أ- عند القيام من النوم: أنَّ النبي ﷺ إذا استيقظ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٢).

ب- عند الفراغ من الطعام وعند لبس الثوب الجديد: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غُفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ غُفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٣).

ج- عند رؤية ما يُسرُّ به وما يكره: عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسولُ الله ﷺ إذا رأى ما يُحبُّ قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٤).

د- عند رؤية أهل البلاء: قال ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ كَانِنًا مَا كَانَ»^(٥).

النهْيُ عن عبادة ما سوى الله تعالى:

ثم أمر الله تعالى رسوله أن يبيِّن للكفار ما نُهي عنه وما أمر به:

فقد نُهي عن عبادة غير الله تعالى: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي﴾ أي: قل أيُّها الرسول لمشركي قومك في مكة وغيرها الذين

(١) سورة البينة: ٥.

(٢) صحيح البخاري.

(٣) صحيح الجامع.

(٤) سنن ابن ماجه.

(٥) صحيحه الألباني.

يطلبون منك مشاركتهم في عبادة آلهتهم: إني نهيت من ربي وخالقي عن عبادة غير الله تعالى من الأصنام والأنداد والأوثان، والسبب في ذلك أن كل الدلائل والبراهين العقلية والنقلية التي أكرمني سبحانه بها، تشهد بأن المستحق للعبادة الخالصة له وحده هو الله تعالى.

وقد أمر أن يسلم لله رب العالمين: قال تعالى: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ أي: قل يا محمد: أمرني ربي بأن أستسلم وأنقاد وأخضع له بالعبادة والطاعة، إذ هو وحده رب العالمين ومالك الأمر.

مراحل نشأة وتدرج حياة الإنسان:

ثم بين الله تعالى مظاهر قدرته في خلق الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ حيث خلق أباكم آدم من التراب، ثم خلق ذريته من نطفة ثم جعل النطفة علقة أي حوّلها الله تعالى إلى قطعة دم متجمدة علقة بجدار الرحم، ثم جعل الله الإنسان يمرُّ بمراحل مختلفة في بطن أمه حتى يكتمل نموه، ثم أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً ضعافاً، ثم وصلتكم إلى بلوغ الأشد الذي يكمل فيه القوة والعقل، ثم تصيرون شيوخاً، ومن الناس من يُتوفى من قبل الشيخوخة أو الشباب أو الولادة.

وبين الله تعالى أنه خلق الإنسان في أطوار مختلفة لغايتين:

الغاية الأولى: ليلبغ الناس الأجل المحدد وهو وقت الموت أو يوم القيامة.

الغاية الثانية: ليعقل الناس قدرة الله تعالى على البعث.

ثم بين الله تعالى أنه يحيي ويميت، ولا يقدر على ذلك أحد سواه، فإذا قضى وقدر أمراً يريد فإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ. فقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٦٨﴾

من هداية الآيات:

- ١- إثبات صفة الحياة لله تعالى.
- ٢- خلق الإنسان في أطوار مختلفة دلالة على قدرة الله تعالى على البعث.
- ٣- الحياة والموت بيد الله تعالى وحده الذي إذا أراد شيئاً قال له كُنْ فَيَكُونُ.

الدرس الثامن والعشرون

مصير المجادلين في آيات الله تعالى
الآيات (٦٩ - ٧٦) من سورة غافر

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرِّفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ
وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ
يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتِنَّ مَا كُنْتُمْ
تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ
اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ
﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلَّسَ مَنَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
الْأَغْلَالُ	القيود التي تجمع الأيدي إلى الأعناق
يُسْحَبُونَ	يجرون بعنف
الْحَمِيمِ	الماء شديد الحرارة
يُسْجَرُونَ	يوقدون

المعنى الإجمالي:

أحوال المجادلين الشنيعة وآراؤهم الفاسدة:

واصلت الآيات الكريمة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصَرِّفُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿٧٠﴾ حديثها عن جدل المشركين

في آيات الله تعالى، مبينة عظيم جرمهم في تكذيب القرآن الكريم وعاقبة ذلك. فيخاطب الله تعالى النبي ﷺ: أَلَا تَنْظُرُ يَا مُحَمَّدُ نَظْرَةَ تَعْجَبٍ إِلَى حَالِ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، كَيْفَ تَنْصَرِفُ عَقُولُهُمْ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ؟ وَعَنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمَوْجِبَةِ لِلْإِيمَانِ بِهَا إِلَى الْجُحُودِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ؟ ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى صِفَتَيْنِ لَهُؤُلَاءِ الْمَجَادِلِينَ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى:

الصفة الأولى: تكذيبهم بالقرآن وسائر الكتب السماوية.

الصفة الثانية: تكذيبهم بما أرسل به الرسل عليهم السلام.

فهؤلاء المجادلين المكذبين سوف يعلمون عاقبة تكذيبهم لأنبياء الله تعالى ولكتبه التي أنزلها عليهم.

فوائد:

الفائدة الأولى: الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ للتعجب من أحوال هؤلاء المشركين.

الفائدة الثانية: قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ للتهديد والوعيد.

عذاب النار للمجادلين بغير علم:

ثم بينت الآيات أنواعاً من العذاب الذي أعدّه الله تعالى للمجادلين بغير علم وهي كما يلي:

أولاً: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ تُجْعَلُ الْقِيُودُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَتُسْحَبُهُمُ الزَّبَانِيَةُ بِالسَّلَاسِلِ فِي الْحَمِيمِ الَّذِي اشْتَدَّتْ حَرَارَتُهُ فَتَقْطَعُ جُلُودَهُمْ وَتَنْسَلُخُ لِحُومُهُمْ.

ثانياً: ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ يُلْقَى بِهِمْ فِي النَّارِ لِيَحْرَقُوا فِيهَا.

ثالثاً: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ

قَبْلَ شَيْءٍ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ التوبيخُ من الملائكة، فتسألهم الملائكة: أين الأصنامُ والشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله؟ ما لهم لا ينقدونكم مما أنتم فيه، وينصرونكم اليومَ وقتَ المحنة؟

فأجاب المبطلون: لقد غابوا عنا وذهبوا فلم ينفعونا، بل تبينَ لنا أننا لم نكن نعبدُ شيئاً ينفعُ وإنما عبدنا الباطلَ.

فبينَ الله تعالى أنه كما أضلَّ هؤلاء الكافرينَ وأبطلَ عملهم فإنه يضلُّ جميعَ الكافرينَ ويبطلُ أعمالهم فلا ينتفعون بشيءٍ منها.

الفرحُ بمعاصي الله سببُ العذابِ:

ثم أبانَ الله تعالى سببينَ لتعذيبِ المشركينَ في النارِ:

- **السببُ الأولُ:** الفرحُ بمعاصي الله تعالى: قَالَ تعالى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي هذا العذابُ الذي أنزلناه بكم بسببِ الفرحِ الذي كانَ يملأُ قلوبكم بمعاصي الله، والسرورُ بمخالفةِ رسله وكتبه.

- **السببُ الثاني:** المرحُ بغيرِ حقٍّ: قَالَ تعالى: ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ أي هذا العذابُ بسببِ مرحِكُم الذي جعلكم تشركون بالله تعالى وتستهزئون بالنبِيِّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم. ثم يأسَ الله تعالى الكافرينَ من رحمتهِ فقالَ لَهُم ادخلوا أبوابَ جهنمِ السبعةِ المقسومةَ لكم تخلصون فيها أبداً، فبئسَ مأوى المستكبرينَ ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٦﴾.

فوائد:

الفائدة الأولى: الفرقُ بينَ الفرحِ والمرحِ: أنَّ الفرحَ سرورُ القلبِ بحصولِ المرادِ، أما المرحُ فهو ظهورُ آثارِ الفرحِ على الإنسانِ كحركاتِ التمايلِ وغيرها.

الفائدة الثانية: الفرحُ نوعان:

- **النوعُ الأولُ:** الفرحُ المحمودُ، وهو الفرحُ بطاعةِ الله تعالى؛ قَالَ تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ ﴿١﴾.

- النوع الثاني: الفرح المذموم، وهو الفرح بالمعاصي؛ قال تعالى: ﴿لَا تَفْرَحُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٢﴾.

من هداية الآيات:

- ١- التعجب من حال المكذبين بآيات الله المجادلين فيها كيف يُصرفون عن الحق بعد وضوح أدلته.
- ٢- قسوة عذاب المكذبين المجادلين في آيات الله تعالى وهم في جهنم.
- ٣- ذم الفرح والمرح بغير الحق.
- ٤- ذم التكبر وبيان سوء عاقبة المتكبرين.

(١) سورة الروم: ٤-٥.

(٢) سورة القصص: ٧٦.

الدرس التاسع والعشرون

العبرة والعظة من حياة الرسل

الآيات (٧٧ - ٨٠) من سورة غافر

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفِينَاكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ ﴾
 (٧٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
 عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ
 وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا
 تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
 الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
نَتَوْفِينَاكَ	نميتنا
بِثَايَةٍ	معجزة
الْمُبْطِلُونَ	أهل الباطل
الْفُلْكِ	السفن

المعنى الإجمالي:

الصبر طريق النصر:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالصبر على أذى الكافرين وتكذيبهم، فقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمًا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ ووعدَهُ بالنصرِ عليهم وإنزالِ العذابِ بهم إِمَّا فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا فِي الْآخِرَةِ وَهَذَا كَائِنٌ لَا مُحَالَةَ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ.

فخاطبَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلًا: اصْبِرْ أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَى أَذَى الْكَافِرِينَ وَتَكْذِيبِهِمْ فَإِنَّ وَعْدَ رَبِّكَ بِنَصْرِكَ حَقٌّ لَأَنَّهُمْ فِي قَبْضَتِنَا وَتَحْتَ قُدْرَتِنَا، فَإِمَّا أَنْ نُرِيَكَ فِي حَيَاتِكَ بَعْضَ مَا نَعِدُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ كَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَذَلِكَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ، أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ قَبْلَ إِنْزَالِ الْعَذَابِ بِهِمْ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنَجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَنَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ حِينَئِذٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ (١).

فائدة: قد تحقَّقَ إِنْزَالُ الْعَذَابِ بِالْكَفَارِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، وَيَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَيَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ.

معجزات الرسل عليهم السلام بأمر الله تعالى:

أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَسْلِيَ رَسُولَهُ ﷺ وَيَذْهَبَ الْحُزْنَ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى عَدَمِ إِيْمَانِ قَوْمِهِ، وَعَلَى مَا طَلَبُوهُ مِنْهُ مِنْ مُعْجَزَاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فَأَخْبَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ رُسُلًا وَأَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ قَبْلَهُ إِلَى أَقْوَامِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ أَنْبَأَهُ بِأَخْبَارِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَقْصُصْ عَلَيْهِ خَبَرَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ لَوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمَهُ بِمُعْجَزَةٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٧٨) أَيُّ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بِنَصْرِ الرُّسُلِ عَلَى أَقْوَامِهِمْ، قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ فَيُنْجَى عِبَادُهُ الْمُرْسَلِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُمْ، وَيَهْلِكُ الْكَافِرِينَ.

فوائد:

الفائدة الأولى: الرسل والأنبياء بشرٌ مثلنا عصمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْخَطَا، وَأَرْسَلَهُمْ لِهَدَايَةِ

(١) سورة الزخرف: ٤١-٤٢.

خلقه، وأيدهم بالمعجزات ليظهر صدقهم فيما يبلغوه.

الفائدة الثانية: المعجزة هي: أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله تعالى على يد النبي لتحدي الكافرين.

الفائدة الثالثة: عددُ الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم خمسة وعشرون، أما عددُ الأنبياء جميعاً فلا يعلم عددهم إلا الله تعالى.

الفائدة الرابعة: أفضلُ الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ويُسمَّون: أولو العزم، وخيرُهم أجمعين سيدنا محمد ﷺ.

الفائدة الخامسة: الفرق بين الرسول والنبي: أنَّ الرسول مَنْ أوحى إليه بشرع جديد، والنبي هو المبعوث لتقريرِ شرع مَنْ قبله.

الأنعام من نعم الله تعالى:

يتمنُّ الله تعالى على عباده بما خلقَ لهم من الأنعام كالإبل والبقر والغنم ذاتِ المنافع الكثيرة فمن منافع الأنعام:

المنفعة الأولى: الركوب، قال تعالى: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ والمقصودُ بما يُركب الإبل.

المنفعة الثانية: الأكل، قال تعالى: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ فالإبل والبقر والغنم يؤكل لحمها ويشرب لبنها ويؤخذ منها الزبد والسمن والجبن.

المنفعة الثالثة: منافع الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كاتخاذِ الأثاث والثياب والأمتعة من الصوف والشعر والوبر قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينَ ٨٠﴾ (١).

المنفعة الرابعة: بلوغُ الأماكن البعيدة، قال تعالى: ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ﴾ أي: لتحقيقوا ما يوجد في أنفسكم من أغراضٍ تحتاجونها من البلاد البعيدة فتسافرون عليها بيسرٍ وسهولة.

(١) سورة النحل: ٨٠.

ثم امتنَّ اللهُ تعالى على الناسِ بنعمةِ السفنِ التي تحملُهم في البحرِ فقال سبحانه: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ فبيَّنَ تعالى أنَّه كما أنعمَ عليكم بالإبلِ التي تحملُكم في البرِّ، أنعمَ عليكم بالسفنِ التي تحملُكم في البحرِ وتحملونَ عليها أمتعتكم وتنتقلونَ بها منَ موضعٍ إلى آخرٍ، فسبحانَ مَنْ يَسِّرُ السَّيْرَ في البرِّ والبحرِ.

من هداية الآيات:

- ١- وجوبُ الصبرِ على دعوةِ الحقِّ.
- ٢- المعجزاتُ لا تُعطى للرسَلِ إلا بإذنِ اللهِ تعالى.
- ٣- منَ الرسلِ مَنْ لم يقصصِ اللهُ تعالى أخبارَهم، ومنهم مَنْ قصَّ أخبارَهم.
- ٤- مِنَّةُ اللهِ تعالى على الناسِ في جعلِ الأنعامِ صالحةً للانتفاعِ بها لعلَّهم يشكرونَ بالإيمانِ والطاعةِ والتوحيدِ لله تعالى.

الفترة الرابعة



الدرس الثلاثون

العبرة والعظة من السير في الأرض الآيات (٨١ - ٨٥) من سورة غافر

﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا
أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ
وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
عَاقِبَةُ	مصير
وَحَاقَ	نزل
بُاسَنَا	عذابنا
خَلَّتْ	مضت

المعنى الإجمالي:

الاعتبار من حياة السابقين:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَدْلَةَ الْكَثِيرَةَ عَلَى قُدْرَتِهِ، بَيَّنَّ أَنَّهُ يُرِي عِبَادَهُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينَ فِي

الآفاق والأنفس فقال تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١)، وكلُّها دالَّةٌ على كمالِ قدرته ووحدانيته، فما الذي تنكرونه منها؟ وهي كلُّها ظاهرةٌ واضحةٌ، فمن كان مُنْصِفاً ذا بصيرةٍ نيرةٍ فلن ينكرها، فدلَّ إنكاركم لها مع ظهورها على أنكم تعاندون وتستكبرون.

فيا عجباً كيف يُعصى الإلهُ أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه الواحدُ

فائدة: الاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) استفهامٌ توبيخيٌّ.

تهديدُ المكذِبينَ المجادلينَ في آياتِ الله:

ينكُرُ اللهُ تعالى على الكافرينَ عدمَ انتفاعِهم بما رأوه من سيرهم في البلادِ فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: أفلم ينظروا هؤلاء المكذبونَ حالَ سفرهم في البلادِ كيفَ كانَ مصيرُ الأممِ السابقةِ التي عصتُ اللهَ تعالى وكذبتُ رسلَهُ، فيعتبروا مما نزلَ بهم من عقوبةٍ وعذابٍ شديدٍ، مع أنَّ اللهَ تعالى منحهم ثلاثَ ميزاتٍ: **الميزة الأولى:** كثرةُ العددِ. قال تعالى: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾.

الميزة الثانية: قوَّةُ الجسدِ. قال تعالى: ﴿وَأَشَدُّ قُوَّةً﴾.

الميزة الثالثة: عظمَةُ الآثارِ والبنیانِ. قال تعالى: ﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾.

ومع كلِّ هذه القوةِ والنَّعمِ التي أعطاهَا اللهُ تعالى للأممِ السابقةِ لم ينفعهم كلُّ ما كسبوه في الدنيا من دفعِ العذابِ عنهم. قال تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

فائدة: الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ للإنكارِ والتوبيخِ.

الإعجابُ بالباطلِ وردُّ الحقِّ سببُ الهلاكِ:

ثم بيَّنَ اللهُ تعالى في الآيةِ الكريمةِ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٨٣) حالَ الأممِ السابقةِ حينَ جاءَهُمُ الرسلُ بالحججِ الواضحاتِ والمعجزاتِ الظاهراتِ ولم يقبلوا منهم، بل فرحوا بما عندهم من العلومِ الدنيويةِ والعقائدِ الباطلةِ فاستهزؤوا بما جاءَ به الأنبياءُ من الوعدِ والوعيدِ، ولكنَّ اللهَ تعالى أنزلَ بهم

العذاب الذي كانوا يستهزئون به ويستبعدون وقوعه.
فائدة: سمى الله تعالى عقائدهم الباطلة علماً للتهكم والاستهزاء بهم.

لا يُقبلُ إيمانُ الكفارِ حينَ نزولِ العذابِ:

ثم بيّن الله تعالى في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) حال الأمم السابقة لما رأوا العذاب قالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بمعبوداتنا الباطلة.

فبيّن الله تعالى في قوله: ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٥) أنه لا ينفع الإيمان من الكافرين حين نزول العذاب، وأن هذا حكم عامّ وسنة ماضية في الأمم كلها، فحين نزول العذاب يخسر الكافرون كل شيء.
فوائد:

الفائدة الأولى: الكافر لا ينفعه الإيمان عند رؤية العذاب أو الموت أو الغرق أو في الآخرة، لأنه جاء في وقت الاضطرار لا في وقت الاختيار مثل فرعون حين أدركه الغرق قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٠) فقال الله تعالى: ﴿ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٩١)، والإيمان الذي يأتي في هذا الوقت لا قيمة له.
الفائدة الثانية: الكفار خاسرون في كل وقت، ويعترفون بخسرانهم إذا رأوا العذاب

من هداية الآيات:

- ١ - مشروعية السير في البلاد للعظة والاعتبار لتقوية الإيمان.
- ٢ - القوى المادية لا تُغني عن أصحابها شيئاً إذا أرادهم الله بسوء.
- ٣ - قبْح الاستغناء عن الدين بالحضارة المادية.
- ٤ - لا يُقبلُ الإيمانُ من الكفارِ حينَ نزولِ العذابِ.

(١) سورة يونس: ٩٠.

(٢) سورة يونس: ٩١.

بين يَدَيَّ سورةُ فَصَّلَتْ

التعريفُ بالسورةِ الكريمةِ:

هذه السورةُ مكيةٌ، رَقْمُهَا فِي المصحفِ أربعون، وعددُ آياتِها أربعٌ وخمسون آيةً، نزلتْ بعدَ سورةِ غافرٍ، وتتناولُ جوانبَ العقيدةِ الإسلاميةِ من الوحْدانيةِ والرسالةِ والبعثِ والجزاءِ.

١ - ابتدأتِ السورةُ الكريمةُ بالحديثِ عن القرآنِ الكريمِ، المنزلِ من عندِ الرحمنِ بالحججِ الواضحةِ والبراهينِ الساطعةِ، الدالةِ على صدقِ النبيِّ ﷺ .

٢ - تحدثتِ السورةُ عن أمرِ الوحيِ والرسالةِ فقرَّرتْ حقيقةَ أنَّ الرسولَ ﷺ بشرٌ خَصَّهُ اللهُ تعالى بالوحيِ وأكرمَهُ بالنبوةِ.

٣ - ثمَّ انتقلتِ السورةُ للحديثِ عن بيانِ كيفيةِ خلقِ السماواتِ والأرضِ.

٤ - ثمَّ عرضتِ السورةُ لمصارعِ المكذِّبينَ.

٥ - ثمَّ تحدثتِ السورةُ عن المؤمنينَ، الذين استقاموا على شريعةِ اللهِ تعالى ودينه، فأكرمَهُم تعالى بالأمنِ والأمانِ في دارِ الجنانِ.

٦ - ثمَّ تحدثتِ السورةُ عن الآياتِ الكونيةِ المعروضةِ للأُنظارِ في هذا الكونِ الفسيحِ، وموقفِ الملحدينَ منها.

٧ - خُتِمتِ السورةُ بوعدِ اللهِ تعالى للبشريةِ، بأن يُطْلَعَهُم على بعضِ أسرارِ هذا الكونِ في آخرِ الزمانِ.

الدرس الحادي والثلاثون

القرآن الكريم رحمة من الله تعالى
الآيات (١-٨) من سورة فصلت

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ كَذَّبَ فَصَلَّتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٧ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٨﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
فُصِّلَتْ	بينت
أَكِنَّةٍ	أعطية
وَقْرٌ	ثقل

المعنى الإجمالي:

اللَّهُ تعالى أَنزَلَ الْقُرْآنَ رَحْمَةً بِالْخَلْقِ:

بدأت السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿حَمَّ﴾ وهي حروف متقطعة أفادت الإعجاز والتحفيز على السماع.

وقد بينَ الله تعالى أنَّ القرآنَ الكريمَ منزلٌ من الله الرحمن الرحيم، فقال: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢﴾ على رسوله محمد ﷺ ليرحمَ الله به الخلقَ فهو كتابٌ جامعٌ للمصالحِ الدينيةِ والدينيةِ، وقد مدحَ الله تعالى القرآنَ الكريمَ بسماتٍ منها:

السمة الأولى: تفصيلُ الآياتِ، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ﴿٣﴾ أي: بُيِّنَتْ معانيه، ووُضِّحَتْ أحكامُه بطريقِ القصصِ والمواعظِ والأحكامِ والأمثالِ، فهو في غايةِ البيانِ والكمالِ والوضوحِ.

السمة الثانية: أنه عربيٌّ، قال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ أي: أنزلناه بلسانِ العربِ، ليفهموا تفاصيلَ آياته ودلائلَ إعجازه، فهو في أعلى طبقاتِ البلاغةِ.

السمة الثالثة: أنه بشيرٌ ونذيرٌ، قال تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤﴾ أي: أنَّ القرآنَ الكريمَ نزلَ مبشراً المؤمنينَ بجناتِ النعيمِ، ومنذراً الكافرينَ بعذابِ الجحيمِ.

وبينَ الله تعالى أنَّ هؤلاءِ الكافرينَ قد أعرضَ أكثرُهم عن تدبرِ آياتِ القرآنِ الكريمِ قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٤﴾ مع أنه نزلَ بلغتهم، فهم لا يسمعون سماعَ تفكيرٍ وتأملٍ.

فائدة: ختمَ الله تعالى الآيةَ بالرحمنِ الرحيمِ في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢﴾ لبيانِ أنَّ القرآنَ الكريمَ من أكبرِ النعمِ التي يرحمُ الله بها الناسَ.

موقفٌ مشرقي قريشٍ من دعوةِ التوحيدِ:

ثم بينَ الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ أن المشركينَ عندما دعاهم الرسول ﷺ إلى الإيمانِ وتوحيدِ الله تعالى من خلالِ آياتِ القرآنِ الكريمِ، علَّلوا إعراضَهم عن الإيمانِ بثلاثةِ أسبابٍ:

السببُ الأولُ: أنَّ قلوبَهم في أغطيةٍ كثيفةٍ تسترُها، لا يصلُ إليها شيءٌ مما دعاهم إليه من الإيمانِ.

السببُ الثاني: أنَّ في آذانهم ثقلاً وصمماً، لا يسمعون ما يدعوهم إليه.

السبب الثالث: أَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ حِجَابٌ يَمْنَعُهُمْ عَنْ سَمَاعِ مَا يَقُولُ.
ثُمَّ دَعَا الرَّسُولَ ﷺ لِيَعْمَلَ عَلَى نَصْرَةِ دِينِهِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ سَيَعْمَلُونَ عَلَى نَصْرَةِ دِينِهِمْ وَمَعْتَقَدَاتِهِمُ الَّتِي لَمْ يَتَخَلَّوْا عَنْهَا.

الدعوة إلى الاستقامة:

بَعْدَ أَنْ أَصْرَرَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْوَثْنِيَّةِ وَالْكَفْرِ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ وَيَقُولَ لَهُمْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ فِي الْآدَمِيَّةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّنِي بِالرَّسَالَةِ وَالْوَحْيِ، وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْإِلَهُ الْحَقُّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ لَا شَرِيكَ مَعَهُ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَلَا فِي أُلُوهِيَّتِهِ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ وَاجِبَانِ:

الواجب الأول: الاستقامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا﴾ أَي: اتْرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ.

الواجب الثاني: الاستغفار والتوبة: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ﴾ أَي: وَاسْأَلُوهُ الْمَغْفِرَةَ فِي سَالِفِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَدَّ الْوَيْلَ وَمُرَّ الْعَذَابِ لِلْمُشْرِكِينَ بِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَقِيمُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

فائدة: جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ مَنَعِ الزَّكَاةِ وَالْكَفْرِ لِلْمُشْرِكِينَ لِأَنَّ الْبَخْلَ بِالْمَالِ يُؤَدِّي إِلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ، وَالْقَلْبُ الْقَاسِي لَا يَهْتَدِي إِلَى التَّوْحِيدِ.

الجزاء من جنس العمل:

ثُمَّ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَنَّ الَّذِينَ رَضُوا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ وَتَجَنُّبِ الشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي، فَهَؤُلَاءِ لَهُمْ ثَوَابٌ غَيْرُ مَقْطُوعٍ وَلَا مَنْقُوصٍ فِي الْجَنَّةِ، لِأَنَّ نَعِيمَهَا دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ﴾ (١٠٨) ﴿أَيُّ غَيْرٍ مَنقُوصٍ وَلَا مَقْطُوعٍ وَلَا مَمْنُوعٍ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَأَقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ» ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (٢).

من هداية الآيات:

- ١ - القرآن الكريم كلامُ الله تعالى المعجزُ المنزَّلُ بلغة العرب.
- ٢ - موقفُ مشركي قريش من دعوة التوحيد الإنكارُ والإعراض.
- ٣ - تقريرُ التوحيد والنبوة المحمدية.
- ٤ - وجوبُ الاستقامة على شرع الله تعالى.
- ٥ - الاستغفارُ يمحو الذنوب.
- ٦ - الجزاءُ من جنسِ العمل.

(١) سورة هود: ١٠٨.

(٢) رواه الشيخان.

الدرس الثاني والثلاثون

مظاهر قدرة الله تعالى في الكون الآيات (٩-١٢) من سورة فصلت

﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ١٠ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
أَنْدَادًا	شركاء
رُوسَىٰ	ثوابت
بِمَصَابِيحَ	نجوم

المعنى الإجمالي:

دلائل قدرة الله تعالى في الكون:

بعد إصرار المشركين على التكذيب والإنكار لدعوة التوحيد، أمر الله تعالى رسوله ﷺ في قوله: ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ ﴾ أن يوبّخ المشركين وينكر عليهم كفرهم بالله تعالى فسألهم: هل تعلمون

بمن تكفرون؟ إنكم تكفرون بالله تعالى الذي خلق الأرض في يومين، وكيف تجعلون له شركاء تسوونهم به وهم أصنام لا تسمع ولا تبصر؟ ذلك العظيم الذي تشركون به هو الله رب العالمين وخالق الموجودات، فلا يجوز الإشراك به تعالى.

فائدة: اللام في قوله تعالى: ﴿لَتَكْفُرُونَ﴾ لتأكيد إنكار الكفر برّب العالمين.

مظاهر قدرة الله تعالى في خلق الأرض:

ثم بين الله تعالى في هذه الآية ثلاثة مظاهر لقدرته في خلق الأرض:

المظهر الأول: أنه جعل في الأرض جبلاً ثوابتاً ترسو في الأرض لا تميل بأهلها في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾.

المظهر الثاني: أنه بارك في الأرض وكثر خيرها بما خلق فيها من البحار والأشجار والثمار وغيرها في قوله تعالى: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾.

المظهر الثالث: أنه قدر في الأرض أقوات المخلوقات فقسم في الأرض الأرزاق حيث جعل في كل مكان ما لم يجعله في الآخر ليعيش بعضهم مع بعض في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾ (١٠).

ثم بين الله تعالى أنه قد أتم خلق الأرض وتقدير الأقوات فيها في أربعة أيام، وهذه الأقوات والأرزاق لجميع الخلق يتساوون في نيلها.

مظاهر قدرة الله تعالى في خلق السماوات:

يخبر الله تعالى في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ أنه بعد أن خلق الأرض توجه بإرادته إلى السماء وهي دخان صاعد من الماء قبل أن تكون سماء فقال للسماء والأرض: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ أي: انقادا لما أمرتكما به طائعتين أو مكرهتين لا مفر لكما من الانقياد لي.

فاستجابت السماء والأرض لأمر الله تعالى في قوله: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أي أتينا طائعين خاضعين ما كان لنا أن نخالف أمر ربنا ومالك أمرنا.

ثم بين الله تعالى في قوله: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا

السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ أَيُّ أَنَّهُ قَدْ أَتَمَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ فِي يَوْمَيْنِ، وَخَلَقَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مَا أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّجُومِ وَغَيْرِهَا، وَأَوْحَى إِلَيْهِمْ مَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ التَّكْلِيفِ، وَخَلَقَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا النُّجُومَ لِحِكْمٍ مِنْهَا:

الحكمة الأولى: زينة السماء.

الحكمة الثانية: حراسة السماء من الشياطين التي تسترق السمع.

ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ الْمَذْكُورِ مِنَ الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ هُوَ تَقْدِيرُ اللَّهِ تَعَالَى الْعَزِيزِ فِي مَلِكِهِ، الْعَلِيمِ بِمَا يَصْلُحُ خَلْقَهُ.

فائدة: خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، أَرْبَعَةً لِلْأَرْضِ وَيَوْمَيْنِ لِلْسَّمَاوَاتِ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِلَمَحِ الْبَصَرِ لَفَعَلَ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ عِبَادَهُ الْحِلْمَ وَالْأَنَاءَ.

من هداية الآيات:

- ١ - بَيَانُ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ الْمَوْجِبَةِ لِتَوْحِيدِهِ.
- ٢ - خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.
- ٣ - جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْجِبَالَ لِتُثَبِّتَ الْأَرْضَ.
- ٤ - خَلَقَ اللَّهُ النُّجُومَ زِينَةً لِلْسَّمَاءِ وَحِفْظًا.

الدرس الثالث والثلاثون

عاقبة المكذبين الآيات (١٣-١٨) من سورة فصلت

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْدِثُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
صَاعِقَةً	العذاب الذي يصير الشخص كأنه مصعوق
صَرْصَرًا	باردة شديدة الصوت
نَحْسَاتٍ	مشؤومات
الْهُونِ	الإهانة والذلة

المعنى الإجمالي:

الهلاك مصير المكذبين:

بعد أن بين الله تعالى أنه خلق الأرض والسماء بتدبير محكم بين في قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ﴾

أَنْذَرْتَكُمْ صَاحِقَةً مِّثْلَ صَاحِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ أَنَّهُ إِنْ أَعْرَضَ الْمُشْرِكُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ فَقُلْ لَهُمْ أَيُّهَا الرُّسُولُ الْكَرِيمُ: إِنِّي أَخَوْفُكُمْ عَذَابًا مَهْلِكًا يَنْزِلُ بِكُمْ كَالْعَذَابِ الَّذِي أَهْلَكَ عَادًا وَثَمُودَ، فَقَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ: لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ. فَرُدُّوا: لَا نَوْمُنُ لَكُمْ لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ شَاءَ إِرْسَالَ رَسُولٍ إِلَيْنَا لَجَعَلَهُ مُلْكًا لَا بَشَرًا.

فوائد:

الفائدة الأولى: حقيقة الصاعقة أنها نارٌ تظهرُ في السماءِ عندَ شدةِ البردِ، والمرادُ بها في هذه الآياتِ: العذابُ الذي يُذهِبُ عقلَ الشخصِ فيجعله كأنَّهُ مصعوقٌ.

الفائدة الثانية: في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ دلالةٌ على أنَّ الرسلَ بذلوا كلَّ جهدهم في إرشادِ قومِ عادٍ وثمودَ إلى الحقِّ ولم يتركوا وسيلةً إلا اتبعوها معهم لهدايتهم إلى الله تعالى.

الفائدة الثالثة: خصَّ الله تعالى عادًا وثمودَ بالذكرِ، لأنَّ مشركي قريشٍ يعرفونَ ما جرى لهؤلاءِ الظالمينَ فكانوا يمرُّونَ على آثارِهِم في سفرِهِم للتجارة.

استكبارُ قومِ عادٍ وجزأؤُهُم:

ثمَّ يفصلُ الله تعالى حالَ عادٍ وما نزلَ بِهِم من عذابٍ مهينٍ، فبيَّنَ الله تعالى جريمتَهُم وجزاءَهُم:

فجرِمةُ عادٍ: الاستكبارُ والغرورُ، قالَ تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فقد تكبروا على هودٍ عليه السلامُ وبعغوا على من آمنَ معه، وقالوا في غرورٍ: لا أحدَ أقوى منا، ونحنُ نستطيعُ أنْ ندفعَ العذابَ عن أنفسنا بفضلِ قوتنا.

فردَّ الله تعالى عليهم موبخاً لهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي أنهم أغفلوا عن قدرةِ الله تعالى ولم يعلموا أنَّ الله تعالى الذي خلقَهُم وخلقَ الكائناتِ كُلَّهَا، هو أعظمُ منهم قوَّةً وقدرةً؟ ولكنَّهُم جحدوا الأدلةَ التي تدلُّ على توحيدِ الله تعالى رغمَ علمِهِم أنها حقٌّ.

أما جزاء قوم عاد: فهي الريح الباردة شديدة الصوت، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ أي: أرسل الله تعالى على قوم عاد ريحاً مهلكة شديدة البرد، شديدة الصوت، دامت سبع ليالٍ وثمانية أيام هي من أشأم وأتعس أيامهم.

ثم بين الله تعالى في قوله: ﴿لَنَذِقَنَّهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (١٦) الغاية من إنزال العذاب عليهم: وهي أن يذيقهم الله تعالى العذاب المخزي المذل في الدنيا، أما عذابهم في الآخرة فهو أشد إهانة وخزياً من عذاب الدنيا، وليس لهم من ينصرهم أو يدفع عنهم ذلك العذاب.

فوائد:

الفائدة الأولى: الاستفهام في قوله تعالى حكاية عن عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ للإنكار، فهم ينكرون وجود قوة أشد من قوتهم.

الفائدة الثانية: أعطى الله قبيلة عاد طولا في الأجسام وقوة في الأبدان، وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده ومع ذلك لم يؤمنوا بالله تعالى.

هلاك ثمود بالعذاب المهين:

ثم يخبر الله تعالى في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٧) ونَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) عن حال ثمود وهم قوم صالح عليه السلام، أنهم استحبوا الكفر على الإيمان والضلال على الهدى، وقتلوا الناقة وهموا بقتل صالح، فأخذتهم صاعقة العذاب المهين لنفوسهم المذل لرقابهم، بسبب إجرامهم وتكذيبهم لنبي الله صالح عليه السلام، وهذا هو جزاء المكذبين.

ونجى الله تعالى صالحاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين الذين كانوا يتقون الشرك والمعاصي.

فوائد:

الفائدة الأولى: كان عذاب قوم صالح: الصيحة، فأرسل الله تعالى جبريل عليه السلام، فصاح بهم صيحة شديدة خلعت قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ

جثمين﴾ (١٦) (١).

(١) سورة هود: ٦٧.

الفائدة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ المراد بالهداية هنا: البيان والإرشاد إلى الخير.

الفائدة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾ المراد بالعمى هنا: الكفر والعصيان.

من هداية الآيات:

- ١ - التحذير من الإعراض عن دعوة الحق.
- ٢ - الاستكبار هو سبب الكفر والمعاصي.
- ٣ - سنّة الله تعالى في المكذبين الهلاك.
- ٤ - الإيمان والتقوى هما سبيل النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة.

الدرس الرابع والثلاثون

التحذير من سوء الظن بالله تعالى
الآيات (١٩-٢٤) من سورة فصلت

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَاَلنَّارُ مَتَوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
يُوزَعُونَ	يُجْمَعُ أَوْلَهُمْ وَآخِرُهُمْ
تَسْتَتِرُونَ	تَسْتَخْفُونَ
أَرَدْتُمْ	أَهْلَكْتُمْ
يَسْتَغِيثُوا	يَطْلُبُونَ الْعُتْبَى وَهِيَ الرِّضَا

المعنى الإجمالي:

حَالُ الْكُفَّارِ عِنْدَ حَشْرِهِمْ إِلَى النَّارِ:

لما ذكر الله تعالى عقوبة عادٍ و ثمودَ في الدنيا، ذكرَ هنا عذابَ الكفارِ في الآخرة، ليحصلَ

الاعتبار والتحذير من الكفر بالله تعالى، فيبين الله تعالى حالة الكفار بعد الحساب حين يحشرون إلى النار ويصلون إليها: فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٩) أي: واذكر أيها الرسول الكريم للمعاندين من قومك يوم يحشر أعداء الله تعالى إلى النار، فسيكون حشرهم عنيفاً تسوقهم الملائكة كما تساق البهائم وهم يوزعون بحبس أولهم وإيقافهم ليلحق بهم آخرهم.

فوائد:

الفائدة الأولى: التعبير بقوله تعالى: ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ يدل على البغض العظيم من الله تعالى للمشركين.

الفائدة الثانية: التعبير بقوله تعالى: ﴿يُوزَعُونَ﴾ يدل على أنهم يحبسون عن الحركة بغلظة وزجر.

شهادة الجوارح والأعضاء على أهل النار:

يبين الله تعالى في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٠) حال الكفار إذا وصلوا إلى النار فيدعون أنهم ظلموا ويتبرؤون من ذنوبهم، فيأمر الله تعالى أسماعهم وأبصارهم وجلودهم أن تشهد عليهم بما كانوا يعملون، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢١).

ثم يقول المشركون لأعضائهم توبيخاً وتعجباً وإنكاراً لشهادتهم عليهم ﴿وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ أي لماذا شهدتم علينا مع أننا ما دافعنا إلا عنكم كي ننقذكم من النار؟ فتجيب الأعضاء ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي ليس الأمر لنا وإنما أنطقنا الله تعالى بقدرته فهو الذي ينطق كل شيء إذا أَرَادَ، فكيف تتعجبون من نطقنا والله تعالى هو الذي أحياكم بعد أن لم تكونوا شيئاً، وإليه ترجعون، فالذي قَدَرَ على الخلق والإعادة يقدر على إنطاق جوارحكم.

ثم وبختهم جلودهم على معاصيهم التي كانوا يفعلونها سراً في الدنيا فقالت لهم: ﴿وَمَا

(١) سورة يس: ٦٥.

كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ أَيُّكُمْ أَثِمَّ الْمُسْرُكُونَ مَا كُنْتُمْ تَخْفُونَ أَعْمَالَكُمْ السَّيِّئَةَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لَاعْتِقَادَيْنِ

فاسدين في قلوبكم هما:

الاعتقاد الأول: أنكم ظننتم أننا لن نشهد عليكم.

الاعتقاد الثاني: أنكم ظننتم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون.

ثُمَّ وَبَخْتَهُمْ جَوَارِحُهُمْ قَائِلَةٌ لَهُمْ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) أَيُّ أَنْ ذَلِكَ الظَّنُّ الْقَبِيحُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، هُوَ الَّذِي أَوْقَعَكُمْ فِي الْهَلَاكِ فَأُورِدَكُمْ النَّارَ، وَخَسَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ، وَهَذَا هُوَ الْخَسْرَانُ الْمَبِينُ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وابتسم فقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا تَسْأَلُونِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتُ؟ فَقَالَ: عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ عَلَيَّ شَهَادَةَ شَاهِدٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ: أَوْ لَيْسَ كَفَى بِي شَهِيداً وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ قَالَ: فَيُرَدُّ هَذَا الْكَلَامُ مَرَّاتٍ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُمْ وَسُحْقًا، عَنْكُمْ كُنْتُ أَجَادِلُ» (١).

فوائد:

الفائدة الأولى: في الصحيحين أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أنه اجتمع عند البيت ثلاثة نفر... فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال أحدهم يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا... فأنزل الله تعالى الآية السابقة.

الفائدة الثانية: الظن بالله تعالى قسمان:

القسم الأول: الظن الحسن، وهو أن يظن العبد بالله تعالى الرحمة والفضل والإحسان

مع الخوف من الله تعالى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٦) (٢)

(١) أخرجه مسلم.

(٢) سورة البقرة: ٤٦

وقال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي... الحديث»^(١).

ومن ثمرات حسن الظن بالله تعالى: إحسان العمل.

القسم الثاني: الظن السيئ، وهو أن يظن العبد صفات النقص في الله تعالى كعدم علمه

وعدم رحمته. كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢٢) **وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ**

الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخُسْرَيْنِ ﴿٢٣﴾.

النار مثوى الكفار:

وبعد انتهاء حوار الكفار مع جوارحهم، بين الله تعالى في قوله: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ

مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ حالهم في النار أنهم إن يصبروا على العذاب

انتظاراً للفرج يأتيهم من الله تعالى فهذا لن يكون لأن النار مقامهم لا يخرجون منها أبداً، وإن

يطلبوا الرضا من الله تعالى فما هم من المرضي عليهم فهم في شر دائم غير منقطع.

من هداية الآيات:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مشهد من مشاهد يوم القيامة.
- ٢- التحذير من الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.
- ٣- التحذير من سوء الظن بالله تعالى.
- ٤- وجوب مراقبة الله تعالى وحسن الظن به.
- ٥- المشركون في عذاب دائم غير منقطع.

(١) رواه البخاري.

الدرس الخامس والثلاثون

المرء على دين خليله
الآيات (٢٥-٢٩) من سورة فصلت

﴿ وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
وَقِضْنَا	هيأنا
قُرْنَاءَ	جمع قرين وهو صاحب الملازم للشخص
وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ	وجب لهم العذاب
وَالْغَوْا فِيهِ	تكلموا بالكلام اللغو عندما يُقرأ

المعنى الإجمالي:

قرناء السوء وأثرهم:

بعد أن بين الله تعالى الوعيد الشديد للكفار في الدنيا والآخرة بين السبب الذي أوقعهم

في الكفر وأوصلهم إلى النار، قال تعالى: ﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: هيأنا ويسرنا للمشركين قرناء سوء من الشياطين ومن غواية الإنس فحسنوا لهم العمل القبيح في الدنيا التي بين أيديهم كالكفر والمعاصي وحسنوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة كإنكار البعث والجزاء، فهم يحسبون أنهم محسنون في أعمالهم، وهم أضل خلق الله تعالى. ثم بين الله تعالى الأثر المترتب على استجابة المشركين لقرناء السوء واستحسانهم للمعاصي فقال تعالى: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ أي: قد أوجب الله تعالى عليهم العذاب، كما أوجبته على المجرمين في الأمم التي مضت من قبلهم، ممن فعلوا فعلهم من الإنس والجن، فأصبحوا بذلك من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

فوائد:

الفائدة الأولى: من أضرار أصدقاء السوء:

- ١ - تزيين المعاصي الموجبة لعذاب الله تعالى.
- ٢ - العدواة بينهم يوم القيامة: قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧).

٣ - التبرؤ ولعن بعضهم بعضاً في النار.

وكان ﷺ يستعيد في دعائه من صاحب السوء كما قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ» (٢).

الفائدة الثانية: حث الإسلام على اختيار الصاحب المؤمن التقي قال رسول الله ﷺ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» (٣).

وضرب ﷺ مثل الصاحب الصالح بحامل المسك حيث قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ

(١) سورة الزخرف: ٦٧.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني.

(٣) رواه أبو داود والترمذي بإسناد حسن.

الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّبَعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).
وَيَبْنِي ٱللَّهُ قُوَّةَ تَأْثِيرِ الصَّاحِبِ عَلَى صَاحِبِهِ فَقَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢).

الفائدة الثالثة: من الثمرات الطيبة للصديق الصالح:

١ - استحقاق محبة الله تعالى: كما في الحديث القدسي: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَرَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ»^(٣).

٢ - الانتفاع بمجالستهم: كما جاء عنه ٱللَّهُ في الحديث الطويل في فضل مجالس الذكر قال النبي ٱللَّهُ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بِغَضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَيَبْنِي السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ - قَالَ - فَيَسْأَلُهُمُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ فَيَقُولُونَ جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ.

قَالَ وَمَاذَا يَسْأَلُونِي قَالُوا يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا لَا أَيْ رَبِّ. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفْرَتِي، هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(٤).

٣ - الانتفاع بدعائهم بظهر الغيب: قَالَ ٱللَّهُ «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَتْ

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أحمد.

(٤) متفق عليه.

الْمَلَائِكَةُ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِ^(١).

٤- الفرح بدخول الجنة: قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾
﴿٦٧﴾ يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾
أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾.

من أساليب قريش في الصد عن القرآن:

ثم بيّن الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾
﴿٦٦﴾ بعضاً من أساليب المشركين التي زينها بعضهم لبعض للإعراض عن القرآن الكريم:
الأسلوب الأول: قول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرؤه محمد حتى لا
تتأثروا به.

الأسلوب الثاني: قول بعضهم لبعض: تكلموا بالكلام اللغو عندما يقرأ وصيحووا وصفقوا
وصفروا، لعلكم تغلبون المسلمين وتصرفونهم عن قراءة القرآن.

جزاء أعداء الله تعالى:

ثم توعد الله تعالى هؤلاء الكفار في قوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾
يَجْذُونَ ﴿٢٩﴾ رداً على ما فعلوه، فأقسم سبحانه وتعالى أنه ليذيقن الذين كفروا يوم القيامة
عذاباً شديداً، لا يخفف عنهم ولا ينقطع، وسيجزئهم جزاء سيئاً قبيحاً نظير ما اقترفوا من
آثام، وذلك الجزاء المعد لأعداء الله تعالى هو النار، لهم فيها إقامة دائمة بسبب جحودهم
ونكرانهم لآيات الله تعالى.

(١) سنن أبي داود
(٢) سورة الزخرف: ٦٧-٧٠.

حَالُ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ:

ثُمَّ يَخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلًا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٩١﴾ عن حال الكافرين في النار وهم يريدون الانتقام ممن أضلّوهم، إذ يقولون: رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ كَانَا سَبَبًا فِي إِضْلَالِنَا مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ، بتزيينهم لنا الباطل، وتقييحهم لنا الحق، لنجعلهما تحت أقدامنا ليكونا في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

من هداية الآيات:

- ١ - بيانُ خطرِ قرناءِ السوءِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ.
- ٢ - بيانُ كيدِ ومكرِ المشركينَ بِالْإِسْلَامِ.
- ٣ - تقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ.
- ٤ - النارُ جزاءُ أعداءِ اللَّهِ تَعَالَى.

الدرس السادس والثلاثون

منهج الدعوة إلى الله تعالى الآيات (٣٠-٣٦) من سورة فصلت

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾
نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو
حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
﴿٣٦﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
تُوعَدُونَ	تطلبون
نُزُلًا	رزقاً مهياً لكم
يَنزَغَنَّكَ	يوسوس
فَاسْتَعِذْ	استعج باللة تعالى

المعنى الإجمالي:

حال المؤمنين في الآخرة:

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ أَعْدَائِهِ، بَيَّنَّ حَالَ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ قَالُوا بِكُلِّ صَدَقٍ وَإِخْلَاصٍ: رَبُّنَا اللَّهُ لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُهُ، وَلَا إِلَهَ لَنَا سِوَاهُ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا وَلَمْ يَشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا، فَأَدُّوا الْفَرَائِضَ وَاجْتَنَبُوا النَّوَاهِيَ وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ، فَهَؤُلَاءِ تَهْبِطُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَتَبَشِّرُهُمْ بِخَمْسِ بَشَارَاتٍ:

البشارة الأولى: ﴿أَلَا تَخَافُونَ﴾ أَي: لَا تَخَافُوا مِنَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ.

البشارة الثانية: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أَي: وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَارَقْتُمُوهُ مِنْ مَالٍ وَأَهْلِ وَأَوْلَادٍ.

البشارة الثالثة: ﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) أَي: أَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي

وَعَدَكُمْ اللَّهُ بِهَا.

البشارة الرابعة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: نَحْنُ نَصْرَاؤُكُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي تَوْشِكُونَ عَلَى مَفَارِقَتِهَا، وَفِي الْآخِرَةِ نَسْتَقْبِلُكُمْ بِالتَّكْرِيمِ وَالتَّرْحَابِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ، إِلَى أَنْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ.

البشارة الخامسة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) نَزْلًا مِنْ

عَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) أَي: وَلَكُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ مِنَ الْمَلَذَاتِ وَلَكُمْ فِيهَا

مَا تَطْلُبُونَ وَتَتَمَنُونَ فَقَدْ جُعِلَ لَكُمْ رِزْقًا مَهِيًا وَضِيافَةً مَكْرَمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاسِعِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

فوائد:

الفائدة الأولى: عَرَّفَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْإِسْتِقَامَةَ أَنَّهَا: أَلَا تَشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا.

الفائدة الثانية: الْإِسْتِقَامَةُ عَصْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الشَّرِّ، فَعَنْ سَفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ

يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ ﷺ «**قُلْ رَبِّي اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِم**» (١).

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

الدعوة إلى الله تعالى أحسن الأقوال:

وبعد أن بيّن الله تعالى فضل الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بيّن فضل الداعين إلى الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) فأخبر سبحانه في هذه الآية أنه لا أحد أحسن قولاً ممن جمع بين خصال ثلاثة:

الخصلة الأولى: الدعوة إلى توحيد الله تعالى والعمل بشرعه.

الخصلة الثانية: عمل الصالحات التي أمر الله بها من أداء الفرائض واجتناب الحرام.

الخصلة الثالثة: التحدث بنعمة الإسلام والاعتزاز به.

الحسنة لا تستوي بالسيئة:

ولما بيّن الله تعالى فضل الداعين إليه أمر سبحانه إلى استعمال الحكمة في الدعوة إليه حتى تسود روح المودة بين الداعي والمدعويين فبيّن تعالى في قوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) أنه لا تستوي الحسنة ولا السيئة فبينهما فرق عظيم، وأرشد الله تعالى إلى الحسنة التي يجب أن يتحلّى بها عباده المؤمنون قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: عليك أيها المسلم أن تدفع سيئة المسيء بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات بأن تقابل ذنبه بالعفو وغضبه بالصبر وشدته بالسماحة.

ثم بيّن الله تعالى نتيجة الدفع بالحسنى حيث يجعل العدو كالصديق القريب المخلص في مودته ومحبته، وبيّن تعالى في قوله: ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥) أنه ما يوفق إلى فضيلة الدفع بالحسنى، إلا من صبر واحتمل الأذى، وما ينال هذه الفضيلة إلا ذو نصيب وافر من السعادة والخير.

سلاح المؤمن من وساوس الشيطان:

ثم بيّن الله تعالى عائق الدفع بالحسنى وأرشد عبده ورسوله ﷺ وكل فرد من أفراد أمته إلى طريقة العلاج فقال تعالى: ﴿وَلِمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: إن وسوس

لَكَ الشَّيْطَانُ لِيَحْمَلَكَ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْمَسِيءِ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَاسْتَجِرْ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ
كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ لَأَقْوَالِ عِبَادِهِ الْعَلِيمُ بِأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَهُوَ الَّذِي
يَعَصْمُهُمْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَسُوءٍ.

من هداية الآيات:

- ١ - تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْتِقَامَةِ بِالْبَشَرِ.
- ٢ - بَيَانُ فَضْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَشَرَفِ الدَّعَاةِ.
- ٣ - الْحَسَنَةُ لَا تَسْتَوِي بِالسَّيِّئَةِ.
- ٤ - وَجُوبُ دَفْعِ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ.
- ٥ - وَجُوبُ الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى وَاحْتِمَالِ الْمَكَارِهِ.
- ٦ - الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَحْفَظُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ.

الدرس السابع والثلاثون

الدلائل الكونية على وحدانية الله تعالى الآيات (٣٧-٤٠) من سورة فصلت

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
لَا يَسْأَمُونَ	لا يملون
خَاشِعَةً	يابسة جامدة لا نبات فيها
وَرَبَتْ	زادت
يُلْحِدُونَ	يجادلون ويميلون

المعنى الإجمالي:

الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى:

يبين الله تعالى الآيات الكونية الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته، الموجبة للإيمان

به وعبادته وتوحيده، ومن هذه الآيات البينات والعلامات الواضحات ما يلي:

الآية الأولى: الليل والنهار والشمس والقمر:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: ومن آيات الله تعالى الدالة على عظمته ووحدانيته اختلاف الليل والنهار، وجعلهما متعاقبين بانتظام وحساب دقيق، فينتفع الناس في النهار بالضياء وسيرهم فيه للمعيش، وينتفع الناس في الليل بالسكون والراحة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) (١).

ومن آيات الله تعالى اختلاف الشمس والقمر فينتفع الناس بضياء الشمس وحرارتها، وينتفعون بنور القمر، وبهما يعلم الناس حساب الشهور والأيام قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (٢).

ثم نهى الله تعالى عن عبادة غيره وأمر بعبادته وحده لا شريك له فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣٧) أي: لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر ولا تعبدوهما من دون الله تعالى، لأنهما من مخلوقات الله تعالى ومنافعها بأمر خالقهما فلا يصح أن يكونا شريكين لله في ربوبيته، ولكن اسجدوا لخالقهما تعالى.

ثم بين الله تعالى أن استكبار الجاهلين عن عبادة الله تعالى وحده، لن يُنْقَصَ من ملكه شيئاً قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَصْطَكِبُوا فِالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٢٨) أي: فإن تكبر هؤلاء الكافرون عن السجود لله تعالى وعبادته وحده فالله تعالى غني عن سجودهم فالملائكة الذين عند ربك أيها الرسول الكريم، يسبحون الله ويعبدونه عبادة دائمة بالليل والنهار وهم لا يسأمون عن ذلك ولا يملون.

(١) سورة القصص: ٧٣.

(٢) سورة يونس: ٥.

فوائد:

الفائدة الأولى: خصَّ الله تعالى الشمس والقمرَ بعدمِ عبادتهما دونَ الليل والنهارِ لأسبابٍ منها:

(١) أَنَّهُ كَانَ يَوْجَدُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مَنْ يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ كَقَوْمٍ سَبَّأٍ فِي الْيَمَنِ.

(٢) أَنَّهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَجْرَامِ الْمَشَاهِدَةِ لِلنَّاسِ.

(٣) أَنَّهُمَا الْأَصْلُ فِي وَجُودِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَكَتَفَى بِذِكْرِ الْأَصْلِ.

الفائدة الثانية: يُسَنُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْجُدَ لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

الفائدة الثالثة: التَّسْبِيحُ هُوَ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَيَكُونُ بِالْأَقْوَالِ: كَقَوْلِ

(سُبْحَانَ اللَّهِ)، وَيَكُونُ بِالْأَعْمَالِ: كَالسُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى.

الآية الثانية: إحياء الأرض بالنبات.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي

أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩).

ثم بيَّنَ اللهُ تعالى دليلاً آخرَ على وحدانيته وقدرته على البعثِ والجزاءِ بحالِ الأرضِ فأنتِ أيُّها العاقلُ تراها يابسةً جرداءَ لا نباتَ فيها، فإذا أنزلَ اللهُ تعالى عليها المطرَ بقدرته سبحانه، اهتزَّتْ وتحركَّتْ تربتها وزادتْ من الماءِ وعلاها النباتُ وظهرتْ فيها الحياةُ، إنَّ الذي أحياها بنزولِ المطرِ عليها، وإخراجِ النباتِ منها، لقادرٌ عن أن يحيي الموتى بالبعثِ والنشورِ إنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

فائدة: يُنَزِّلُ اللهُ تعالى ماءً من السماءِ عندَ إحياءِ الموتى بينَ نفختي الفناءِ والبعثِ، عن أبي

هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قَالَ: أُبَيَّتُ،

قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أُبَيَّتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أُبَيَّتُ، قَالَ: ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ

وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

تهديدٌ ووعيدٌ للملحدين:

لَمَّا بَيَّنَّ اللهُ تعالى الآياتِ الدالة على قدرته ووحدانيته توعدَّ الذين يبدلون آياتِ اللهِ تعالى

(١) رواه البخاري.

عموماً وفي القرآن خصوصاً فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ أي: إن الذين يميلون عن الحق في آياتنا ويكذبون بها ويلغون فيها ليسوا بغائبين عنا بل هم تحت بصرنا وقدرتنا وسنجازيهم.

ثم بين الله تعالى الجزاء المعد للملحدين وهو نار جهنم فسألهم توبيخاً واستهزاء: أيهما أفضل، الذي يطرح في جهنم خائفاً فزعاً، أم الذي يكون في الجنة آمناً من عذاب الله تعالى يوم القيامة؟

ثم هددهم الله تعالى فقال لهم: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: اعملوا أيها الملحدون ما شئتم من أعمال قبيحة، فإنها لا تخفى على خالقكم عز وجل لأنه بصير بكم، ومطلع على أفعالكم، وسيجازيكم عليها الجزاء العادل الذي تستحقونه وهو نار جهنم خالدين فيها أبداً.

فوائد:

الفائدة الأولى: الإلحاد في آيات الله هو: الميل عن الصواب في آيات الله بالتكذيب والتحريف.

الفائدة الثانية: في هذه الآية ثلاث عبارات الغرض منها تهديد الكافرين هي: قوله

تعالى: ﴿لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ وقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

من هداية الآيات:

١ - تقرير التوحيد بالأدلة القطعية الموجبة لعبادة الله تعالى وحده.

٢ - عبادة الشمس والقمر شرك باطل.

٣ - إحياء الأرض بعد موتها دليل على تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤ - حرمة الإلحاد في آيات الله تعالى.

٥ - التهديد والوعيد لكل من يحرف آيات الله تعالى.

الدرس الثامن والثلاثون

القرآن شفاء لما في الصدور الآيات (٤١-٤٦) من سورة فصلت

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	معناها
بِالذِّكْرِ	القرآن الكريم
ءَأَعْجَمِيٌّ	بلغة العجم التي لا يفهمها العربي
شَكٍّ	تردد بين أمرين

المعنى الإجمالي:

صفات القرآن الكريم:

يخبرُ الله تعالى عن الملحدين أنَّهم كفروا بالذكر وهو القرآن الكريم وما كان ينبغي لهم أن

يكفروا به وهو مشتمل على صفات نفيسة منها:

الصفة الأولى: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنَبُّ غَرِيبٌ ۖ﴾ ﴿٤١﴾ أي: كتاب منيع محفوظ بحفظ الله تعالى من كل تحريف أو تبديل.

الصفة الثانية: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: لا يتطرق إليه الباطل من أي جهة من الجهات، لا من جهة لفظه ولا من جهة معناه، ولا يكذبه شيء سابق أو لاحق أبداً.

الصفة الثالثة: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ أي: هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الحكيم في أقواله وأفعاله، المحمود من خلقه بسبب كثرة نعمه.

فائدة: سُمِّيَ القرآن ذِكْراً لأنه يذكرُ الناسَ بالله تعالى، أو لأنه شرف للمؤمنين.

تسليّة الله تعالى لرسوله ﷺ:

وبعد أنه هدّد الله تعالى الملحدين في آياته سلّى رسوله ﷺ عما يصيبه من أذى المشركين ليحمله على الثبات والصبر، بثلاث من التسلّيات:

التسليّة الأولى: خبرُ الأنبياء مع أقوامهم:

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾

خاطب الله تعالى رسوله ﷺ بأن ما يقال لك أيها الرسول الكريم من كفار قومك بما يؤذيك إنما هو مثل ما قالته الأمم المكذبة من قبلك لرسولهم بما يؤذيهم فصبروا، فاصبر كما صبروا، وإن ربك لذو مغفرة عظيمة لعباده المؤمنين وذو عقاب أليم للكافرين، ففوض أمرك إليه فإنه ينتقم لك من أعدائك.

ثم يخبر الله تعالى أنه لو جعل القرآن أعجمياً بلغة غير العرب، لكابر المشركون عن اتباع الحق واعترضوا باعتراضين:

الاعتراض الأول: ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ﴾ أي: هلاً بُيِّنَتْ ووُضِّحَتْ آياتُ هذا الكتاب

بلغة نفهمها.

الاعتراض الثاني: ﴿أَعْجَمِي وَعَرَبِي﴾ أي: أقرآن أعجمي ونبي عربي؟! مستنكرين ذلك

ومتعجبين كيف يكون محمدٌ عربياً، والكتابُ أعجبياً!
ففنى الله تعالى عن كتابه كلَّ شبهةٍ لأهلِ الباطلِ، ووصفه بأحسنِ الأوصافِ التي توجبُ
الانقيادَ له.

ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ في قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ فِيْ آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤) أن يقولَ
لقومه: إنَّ هذا القرآنَ الكريمَ هدىً للذين آمنوا بالله تعالى يهديهم إلى الطريقِ المستقيمِ، وشفاءً
لهم من الأمراضِ البدنيةِ والقلبيةِ، بما فيه من الرحمةِ والبركاتِ، أمَّا الذين لا يؤمنونَ بالقرآنِ
ففي آذانهم صممٌ عن استماعه وهو عليهم عمى لا يهتدونَ به ولا يبصرونَ حججه ومواعظه،
أولئك المشركونَ حالهم مع القرآنِ كمن يُنادى من مكانٍ بعيدٍ، فهو لا يسمعُ النداءَ ولا يرى
المنادي.

التسليّةُ الثانيةُ: خبرُ موسى ﷺ مع قومه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٤٥)

يخبرُ الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أنّه قد أعطى موسى ﷺ التوراةَ، فاختلفوا فيه فمنهمُ
المصدقُ ومنهم المكدّبُ وهكذا حالُ قومك، ولولا أن ربك - يا محمد - قد حكمَ بتأخيرِ
عذابِ الكافرينَ من قومك إلى يومِ القيامةِ لأهلكهم كما أهلكَ السابقينَ ولكنَّ الله يؤخرُهم
ليومِ القيامةِ، وإنهم لفي شكٍّ من هذا القرآنِ جعلهم يعيشونَ في قلقٍ واضطرابٍ.

التسليّةُ الثالثةُ: مجازاةُ الناسِ بأعمالهم:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦)

ثمَّ يخبرُ الله تعالى رسوله ﷺ أن مَنْ عملَ صالحاً وهو مؤمنٌ فله الأجرُ والمثوبةُ، ومَنْ
أساءَ بعملِ الذنوبِ والمعاصي فجزاءُ السوءِ يعودُ على نفسه، وما الله تعالى بظلامٍ لعباده بل
يجازيهم بما عملوا، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ.

فائدة: نفى الله تعالى الظلم عن نفسه بقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ﴾ ولم يقل: بظالم، لاستبعاد أي ظلم من الله تعالى للعباد.

من هداية الآيات:

- ١ - بيان صفات القرآن الكريم.
- ٢ - تسليّة الله تعالى للرسول ﷺ.
- ٣ - طبع الكفار المكابرة والمعاندة.
- ٤ - القرآن الكريم دواء وشفاء لأهل الإيمان.
- ٥ - الجزاء من جنس العمل.

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم

- ١ - تفسير ابن كثير: محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي.
- ٢ - صفوة التفاسير: الصابوني.
- ٣ - التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي.
- ٤ - أيسر التفاسير: أبوبكر الجزائري.
- ٥ - التفسير الميسر: عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي.
- ٦ - التفسير الميسر: د. وهبة الزحيلي دار الفكر - دمشق.
- ٧ - أصول في التفسير: ابن عثيمين.
- ٨ - تيسير الكريم الرحمن: عبدالرحمن السعدي.
- ٩ - المنتخب في التفسير: لجنة من علماء الأزهر.
- ١٠ - زاد المسير: ابن الجوزي.
- ١١ - الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.
- ١٢ - التحرير والتنوير: لابن عاشور.
- ١٣ - صحيح البخاري: الإمام البخاري.
- ١٤ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج.
- ١٥ - المسند: أحمد بن حنبل.
- ١٦ - سنن الترمذي: الإمام الترمذي.
- ١٧ - سنن البيهقي: الإمام البيهقي.
- ١٨ - سنن أبي داود: أبو داود السجستاني.
- ١٩ - الصحيح من أسباب النزول: مقبل الوادعي.



شركة مطابع الرسالة - الكويت

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (٢٦٢) بتاريخ ٢٧/٨/٢٠١٥م